شرفخان بدليسي

العصر و الحياة و الخلود

ي.ي.فاسيليفا
ترجمة: د.عبدي حاجي

شرف خان بدليسي

شرف خان بدليسي

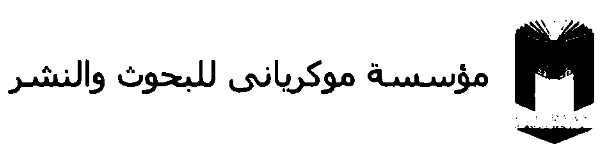
العصر والحياة والخلود

ي. ي. فاسيليفا

ترجمة: د.عبدي حاجي



اربيل- ٢٠١١



● **شرف خان بدليسي (العصر والحياة والخلود)**

● تأليف: ي. ي. فاسيليفا

● ترجمة: د.عبدي حاجي

● التصميم الداخلي: ريدار جعفر

● الغلاف: هۆگر صديق

● رقم الايداع: (٢٧٢٩)

● السعر: (١٥٠٠) دينار

● الطبعة الاولى: ٢٠١١

● العدد: ٥٠٠

● المطبعة : مطبعة رۆژهەلات (اربيل)

تسلسل الكتاب (٥٧٧)

الموقع: www.mukiryani.com
ئيميل: info@mukiryani.com

الفهرست

مقدمة

نتوجه الى الاسماء العظيمة في كوردستان ونعيد بعضا منها الى الكورد .ونتذكر ما كتبه الاكاديمي ي. أ.اور بيلي حول تاريخ الشعب الكوردي، الذي ساهم مساهمة كبيرة في ثقافة الشرق " فقدهذا الشعب الكثير من ابنائه تحت راية الايرانيين والاتراك والعرب والارمن، الذين ازدانت تاريخ هذه الشعوب باسمائهم من موسيقيين وقادة عسكريين وشعراء اجلاء، هذه الشعوب التي ساهمت كثيرا في تكوين تصور عن الكورد على انه شعب ليس قادرا على الابداع الثقافي وحسب، بل واستيعاب ثقافة اخرى غريبة عليه)). (أوربيلي ١٩٣٨: ٥)

ومصير الكورد التاريخي هو مصير فريد لحد ما بمأساويته و تعقيداته، فهو أحد اقدم شعوب العالم، و يتمتع بسمات قومية واضحة، ولديه تقاليد غنية في النضال التحرري، الا أنه مع ذلك كله لا يزال محروما من تلك الحقوق التي تعد جزءا لا ينفصم من كينونة أي عرق. وثمة عوامل عدة حددت فرادة القضية الكوردية القومية : فالكورد أحد الشعوب القليلة القاطنة في هذه المنطقة، قد عاشوا خلال آلاف السنين في وطنهم التاريخي تحت تسمية عرقية وجغرافية واحدة لها معنى واحد، لقد ضرب الكورد رقما قياسيا في نضالهم الطويل والعنيف في سبيل التحرر القومي، فهو الشعب الوحيد في عالم اليوم، يبلغ تعداده اكثر من ٣٠ مليون نسمة ولا يزال محروما من حقوق الاستقلال القومي.

ويكتسب صراع الكورد، وما يخوضونه من نضال ضد الغزو الاجنبي طابعا متعدد الجوانب، فالقضية الكوردية قد تحولت منذ عهد بعيد الى موضوع أصبح مثار جدل على الصعيد العالمي، ولم تنحصر ضمن أطر النضال في سبيل التحرر القومي وحده، وهي ترمي الى الدفاع عن اسس الفكرة القومية وبعث ذاكرة الكورد التاريخية. .ويقوم

المدافعون عن سياسة البلدان التي تقتسم وطن الكورد في ما بينها الى توجيه فيما يبذلونهم من مساعي الى اعماق الماضي التاريخي بغية اضفاء طابع " قانوني " على صراعهم المعادي للكورد. وتكون مهمتهم في هذا المجال هو نفي او تزييف وجود الشعب الكوردي ذاته وحقه في تقرير مصيره كعرق مستقل.

وفي هذه الحالة فان كل ما يكتب وينشر عن الكورد يرتدي طابعا حيويا. كما ان جميع فروع علم االكردولوجي حيوية و " مسيسة ", وليست مسائل التاريخ الكوردي في الماضي والحاضر فحسب، بل قضايا اللغة و الادب والاتنوغرافيا وذلك بحكم حدة القضية الكوردية القومية، وهي تقع ضمن اطر الصراع بين انصار الحقيقة التاريخية التي تؤكد على شرعية الفكرة القومية الكوردية والتي هدفها النهائي تقرير المصير القومي وبين تلك الدوائر في الشرقين الاوسط والادنى التي تنفي ذلك.

والعمل الذي أعدته ي. ي. فاسيليفا جدير بالاهتمام، انه مكرس لشخصية تعد احدى اكثر الشخصيات الثقافية الكوردية بروزا، اذ ان شخصية شرفخان بدليسي وتراثه يمثلان أهمية كبيرة لدراسة التطور التاريخي والاثنو- ثقافي للمجتمع الكوردي، وهو من اكبر الشخصيات الكوردية الثقافية، انه مؤرخ وشخصية غير اعتيادية، ويمتلك عمله الاساسي في تاريخ الكورد والبلدان المجاورة، حسب اجماع اراءالمختصين في ازمنة مختلفة،مجموعة من المزايا تضع مؤلفه في عداد الشخصيات البارزة في علم التاريخ، وقد تجلت اهمية العمل الذي كتبه شرف خان بدليسي في التقويم الذي اعطاه ف. ف. فيليامينوف — زيرنوف العالم الضليع في تاريخ الشرقين الاوسط والأدنى. ويعود هذا التقويم الى القرن التاسع عشر عندما كتب يقول:"لم يظهر في الشرق خلال ثلاثمائة عام تقريبا أي شي يمكن المقارنة معه" ترك شرف خان بدليسي أثمن عمل لم يكن فريدا من نوعه بما يمتاز به وما يشتمل على مرحلة تاريخية هائلة فحسب. يقدم " شرف نامة " قاعدة راسخة لتسليط الاضواء على مجموعة كاملة من القضايا الاتنوثقافية التي تكتسي أهمية مبدئية لاعادة عملية التطور التاريخي للكورد. لقد أعارت ي. ي. فاسيليفا عناية خاصة اثناء العمل على ترجمة " شرف نامة " الى اللغة الروسية (صدر الكتاب في مجلدين في موسكو في عام ١٩٦٧ و ١٩٧٦) الى ايضاح وتحديد المصادر التي تناولتها. يجري في مقدمة الطبعة

الحديث عن تاريخ دراسة " شرف نامة" وترجمات الكتاب وقيمته كمصدر تاريخي وعن الامارات الكوردية وحكامها وعن امراء بدليس. كما انه لانقاش حول قيمة التعليقات والوحدة الراسخة للجهاز العلمي، الذي يقوم عليه ضمان تصور كامل عن عمل المؤرخ البارز في القرون الوسطى.

لقد حظي شرفخان بدليسي المؤرخ والمفكر باحترام عميق من لدن ي. ي. فاسيليفا وهي تدرس تراثه وبعد ان اعدت وبصورة حرفية اصدار مجلدين من " شرف نامة " في ترجمته الى اللغة الروسية، ولاقت فكرة وضع كتاب عن حياة شرفخان بدليسي وسفره العظيم تأييدا حارا من جانب كاتب هذه السطور. وتقدم شخصية شرف خان بدليسي وعمله الاساس لتأملات شيقة حول المصير التاريخي للكورد وكوردستان، وعن الصيرورة المعقدة لتماسك المجتمع الكوردي ولا سيما أهم عناصره الاتنوثقافية والقومية الداخلية.

قدمت المؤلفة في كتابها لوحة معقدة عن الظروف والوقائع التي جرت فيها حياة شرف خان بدليسي ونشاطه. وكما يبدو فقد كانت تتوفر لديه جميع المستلزمات لقضاء حياة هانئة ورغيدة، اما في الواقع كانت حياة شرف خان بدليسي ونشاطه على جانب كبير من التعقيد بسبب عدد من الظروف نيأتي في مقدمتها محاولته في أن يكون في معمعان صيرورة الصراع المحتدم بين امبراطوريتين تتخذان موقفا معاديا من شعبه. ودون ان يترك في أثناء ذلك الفرصة وامكانيات الحفاظ على الصلات مع الجانبين على حد سواء.

لقد كانت فكرة كتابة تاريخ الكورد تقض مضاجع شرف خان بدليسي منذ وجوده في خدمة الدولة، ومن الطبيعي أن هذه الفكرة لم تظهر بوجود الرغبة وحدها في القيام بمثل هذا العمل.لقد كان شرف خان بدليسي انسانا مثقفا ثقافة عالية و لديه معارف غنية في تاريخ كوردستان وتاريخ البلدان المجاورة لها على حد سواء. وهذا ما كان مشروطا بفرادته في علم تطور المعرفة التاريخية.لم يكن شرف خان بدليسي مدونا للاحداث ويقدم وصفا للتاريخية منها والجارية في كوردستان و ما حولها فحسب. فقد أمست الوقائع المفصلية في تاريخ كوردستان مادة استقصاءاته وذلك مثل: التركيب القبلي للكورد، والدين واللغة واللهجات والجغرافية وقضايا الديموغرافيا و تعاقب السلالات الحاكمة، والأخلاق والتقاليد والظروف الداخلية والسياسية الخارجية التي قررت مصير الكورد ووضعهم.

تقدم اللوحة الاجتماعية – السياسية التي عرضتها ي. ي. فاسيليفا الأساس للاعتقاد بان اهتمام المؤرخ بالمسائل الواردة انفا لم تأت بسبب الرغبة وحدها في عرض الوقائع موضوعيا،و الكائنة في اساس العمليات التاريخية المصورة، ورغم ما كان شرف خان بدليسي يتحلى بموضوعية كمؤرخ نلاحظ مدى اخلاص شرف خان لشعبه و وطنه وما كان يعانيه بسبب ما كان الاثنان فيه من مصير، ومحاولته تبيان سبل الخروج من تلك المحنة. لقد اشار شرف خان بدليسي والالم يعتصره الى ان احدى العقبات الرئيسية التي تقف حائلا امام تطور كوردستان هي غياب الوحدة والاتفاق بين العشائر الكوردية.

وحسب ما يراه شرف خان بدليسي فان كوردستان هي فضاء انتوجغرافي موحد، وجدت نفسها بسبب الظروف منقسمة بين امبراطوريتين. فقد كانت تقع في مركز الصراع والتنافس بين ايران الصفوية وتركيا العثمانية، ولم يزداد نضال الكورد في سبيل التخلص من الظلم الاجنبي تعقيدا نتيجة غياب الوحدة في ما بينهم فحسب، بل نتيجة مجموعة اخرى من العوامل الاجتماعية والاقتصادية.

لقد كبح العامل الديني (الاسلامي) تماسك الكورد وخوضهم نضالا تحرريا ناجحا. فقد حارب الكورد ضد ابناء دينهم، الامر الذي فسح المجال امام الانظمة الحاكمة عن طريق العقائد الاسلامية و لا سيما " الامة الاسلامية " التاثير على توجهات الكورد وارائهم واعاقة وحدتهم على اساس المصالح القومية. فالعقيدة الاسلامية تؤكد على اولوية العامل الديني (الاسلامي) امام العامل القومي وكثيرا ما جرى استخدام العامل الديني ضد تطور عملية النضال التحرري فالاسلام بما لديه من وظائف تنظيمية واجتماعية قد بسط هيمنته على اهتمامات الجماهير الكوردية وتطلعاتها.

و بصرف النظر عن كل ذلك وجدت الفرص لدى الكورد لمواجهة الدول الكبرى ____الغزاة.و الكلام يجري عن سمة مميزة تصف وضع الكورد وكوردستان، فوضع الكورد خلافا عن وضع عدد من الشعوب والبلدان التي خضعت للمحتلين لم يتصف بالخضوع دون قيد وشرط. لقد تم احتلال كوردستان والكورد لكنهما لم يخضعا كليا، فالامارات الكوردية شبه المستقلة لم تكن تعترف بسلطة هذه الدولة او تلك الا اسميا. اذ باءت بالفشل محاولات السلاطين العثمانيين والشاهات الصفويين مدة طويلة في اخضاع الامارات الكوردية لحكمهم

اخضاعا تاما. ولم تعترف الحكومات العثمانيـة والايرانيـة بحقـوق الكـورد في الاسـتقلال او شبه الاستقلال، لكن الامارات الكوردية لم تخضع الا شكليا للصفويين والعثمانيين. ومما يـدل على ذلك هو ان الدول الغازية التي كانت عاجزة عن اخضـاع الكـورد لحكمهـا كليـا كانـت تقوم بمنح الحكام الكورد الشهادات الرسمية والعهودالتي تؤكـد علـى حقـوقهم. وكانـت هـذه الشهادات والعهود شكلية تخفي الاعـتراف الحقيقـي بـالامراء الكـورد المحليين. ونقـول كمـا اسلفنا بان الحكومة العثمانيـة لم تخضع الاراضـي الكورديـة الـشبه المستقلة لحكمهـا الا في الاربعينات ولغاية الستينات من القرن التاسع عشر وذلك بالحديد والنار، الامرالذي وصـف في العلم التاريخي بالاحتلال الثاني لكوردستان.

كـان لـدى شـرف خـان بدليـسي ربطـا منطقيـا دقيقـا لمفهـوم الفـضاء الكـوردي الانتوجغرافي الموحد بمفهوم ضرورة وحدة الامارات الكوردية كشرط لا بد منه للتخلص من الظلم الاجنبي. ولدينا المبررات الكافية للاعتقـاد بوجـود ارهاصـات للاديولوجيـة القوميـة في عقيدة " القيادات " الكوردية و الفئة المثقفة.لقد ضم شرف خـان بدليـسي العشائر الكورديـة كلـها والجزئـة والناطقـة بلـهجات كورديـة مختلفـة جـدا الى مفهـوم "الشعب الكوردي "، الذي كرس له عمله التاريخي.

لا بد من التنويه الى ان كوردستان لم تكن من وجهة شرف خان بدليسي فضاء مطلقـا، بل هي بلاد تضم عرقا واحدا، هذه البلاد التي كان تنهشها الحـروب الداخليـة وتفتـت مـن عضدها، التي كثير ما كانت تقوم حسب مبدأ " فـرق تـسد "، هـذه الحروب الـتي كانـت الدول الغازية تقوم باشعال نارها (كان المؤلف يتحدث عنها والالم يعتصر قلبه)و كانـت هـذه البلاد تضم عرقا واحدا رغم التنوع الديني (الاسلام بمذهبيه : السنة والشيعة، علـي الهـي، الكاكائية، الايزيدية). لقد قامت هذه الـدول باسـتغلال اقـل الفرص لتأليـب الكـورد ضـد بعضهم البعض وذلك على الارضـية الدينيـة. فـالبلاط العثمـاني لم يـترك فرصـة للتنكيـل بالكورد الايزيديين، الذين لم يتخذوا من الاسلام دينا لهم، واحيانا ما كان يجري ممارسة هـذه السياسة بأيدي الكورد – المسلمين،و وجدت حالات في اطر هـذه الـسياسة الدمويـة، قامـت فيها السلطات العثمانية، التي كانت تكـن الكراهيـة والبغـضاء للايزيـديين، باسـتخدامهم ضد الكورد - المسلمين. هكذا قـام الـسلطان سـليمان القـانوني الاسـلامي المتعـصب بمـنح

الشهادات لزعيم عشيرة داسنيا حسين بك لحكم تلك المناطق من سوران و ذلك لاخماد مقاومة حكامها. وبعد ان باءت محاولاته بالفشل أعدم بأمر من السلطان.

وثمة شهادات من المصادر التاريخية تقول بان العثمانيين والصفويين على حد سواء قد لجأوا الى استغلال كل فرصة مناسبة للقضاء على السكان الكورد بعد ان عجزوا من فرض سلطتهم المطلقة عليهم.

ترك المصير المأساوي للكورد والتنكيل الدموي بهم تاثيره على تكوين عقيدة شرف خان بدليسي وآرائه. نوهت ي. ي. فاسيليفا الى افكاره واستنتاجاته واعماله التي تناولت هذه المسألة بهذا الشكل او ذاك، وتصبح أساسا لتوصيف آراء المؤرخ.

لقد وقف شرف خان بدليسي ضد الانقسام الاقطاعي وكان يطالب باقامة سلطة ملكية قوية قادرة على أداء رسالتها المركزية وذلك كوسيلة للتغلب على هذا الانقسام والتشتت. ومن الطبيعي تماما أن يطرح سؤال مبدئي من وجهة نظرة عقيدة شرف خان بدليسي حول ما هي المصالح التي يدافع عنها شرف خان بدليسي؟، أهي مصالح العثمانيين أم الصفويين أم الكورد (الامارات الكوردية)؟

لم يتمكن شرف خان بدليسي ولأسباب مفهومة من التعبير و بصورة مكشوفة عن موقفه المناوئ للبلاطين العثماني والصفوي. ولكننا نجد جوابا صريحا في نص " شرف نامة " على سؤال حول ماهية المصالح التي كان صاحب العمل التاريخي يدافع عنها، ولمن كانت موجهة آماله وأمانيه. لقد أدان وشجب الصراع الداخلي والانقسام الاقطاعي، ولم تات هذه الادانة من موقع الدول المقتسمة لكوردستان، بل في سياق تاملاته وافكاره حول مصير الكورد وكوردستان. لقد شجب شرف خان بدليسي الانقسام الاقطاعي بين الكورد ولم يشجب انتفاضات الزعماء الكورد ضد الاتراك والايرانيين فحسب، بل بالعكس فقد كانت هي محل فخره واعتزازه، فهي كانت تؤكد على ما كان يؤمن به وهو ان " الكورد شعب مضطهد، لكنه لم يخضع ابدا".

كتب شرف خان بدليسي باعتزاز عن السلطة اللامحدودة لحكام أردلان،و هكاري،و بوتان،و بابان وغيرها من الامارات الكوردية وعن جبروتهم. ويصف شرف خان بدليسي وفق رؤيته الكاملة مكان التشكيلات الحكومية الكوردية ودورها على مثال السلالات

المروانيـة والحـسنويهية، والبدرخانيـة والاردلانيـة الحاكمـة، وذلـك بمـا ينطبـق مـع نظريتـه وباسهاب، و قد جاء هذا الوصـف بتعـاطف مكـشوف. ولهـذا الـسبب تحديـدا فـان صـراع الامارات الكوردية ومواجهتها السلطة المركزية يثيران تعاطف شرف خان بدليـسي. كمـا ان شرف خان بدليسي قد شجب التناحر الداخلي ضمن اطر كوردستان وكذلك الانفصالية.

ومن الواضح جدا ان قيام سلطة ملكية مطلقة كانـت تـراود حلـم المؤرخ في سـياق مصالح كوردستان. لقـد وجـدت افكـار شـرف خـان بدليـسي وآمانيـه انعكاسـا لهـا في تاملاته الحزينة التي كانت محورها تتمثل في انـه لا يوجـد لـدى الكـورد حاكمـا يكـون معترفا به من قبل الجميع، والحكام الكورد الذين يكافحون مـن اجـل وحـدة الاراضـي الكوردية لا يتنازلون عن بعضهم البعض نتيجة التنافس بينهم ، ويـصبحون الـسبب الرئيس في تدمير هذه الافكار.

وأشارت ي. ي. فاسيليفا الى هذه الجوانب الـتي تكتـسي أهميـة كـبيرة لتوصـيف اراء شرف خان بدليسي الاجتماعية – السياسية ، وكتبت تقول : ربمـا تجلـى في هـذا حلمه الخفي حول تاسيس دولة كوردية بزعامة حاكم قوي هذا الحاكم الذي لم يـصرح بـه في أي مكان من سفره ألتاريخي بصورة مباشرة، (شرف خان ١٩٧٦ : ٢٩)

لا بد من التنويه الى الدور الكبير للعمل التاريخي،الذي كتبه شرف خان بدليـسي، في اضاءة أهم مـسالة من تاريخ الكورد في العصور الوسطى والمراحـل الـتي اعقبتهـا، ألا و هي مـسالة النمط الاقتصادي لحياة الجماهير الكوردية الاساسية ومستوى التطور الثقافي والاجتماعي، ومما يؤسـف لـه ان التـاريخ الاجتمـاعي والاقتـصادي للامـارات الكوردية لم يدرس دراسة كافية.

لكن بحكم المواد الواردة في "شرف نامة " وحـدها، وبـصرف النظـر عـن العوامـل الداخلية والخارجية السيئة فقد تطورت القوى الانتاجيـة في الامـارات الكورديـة وكـان يجري فيها تشجيع تطور الثقافة والعلم. وهكذا حسب ما ورد في " شرف نامـة " فقـد كان يوجد في بلاط حاكم الجزيرة بدرخان بك (حكم لغاية عام ١٥٧٨) " حشد كبير من العلماء والناس المتنورين، هذا الحشد الذي لم ير له مثيلا في المدينـة ابـدا " ومـن بـين هؤلاء مولانا محمد بركالاي، حسن سورجي، زين الـدين بـه بـه ى، مولانـا سـيد علـي

وغيرهم. وفي هذا الوقت كان في بدليس جمع كبير من العلماء الكورد الموهوبين من مختلف ارجاء كوردستان مثل :خزر بابي، محمد شيرانش، محمد زراقي وغيرهم،وقد عهد إلى هؤلاء الضالعين في علم المنطق والميتافيزيقيا والشعر القاء الدروس في مدارس بدليس " التي كانت تعج بالطلاب". يقدم شرف خان بدليسي مادة جيدة واساسا لدحض ذلك التصور القائل بان نمط حياة الرحل وبما له من مستوى ثقافي متدني كان سمة متميزة لكل المجتمع الكوردي وسكانه.

ترك شرف خان بدليسي عملا يضم بين ثناياه مادة غنية ويثير اهم الافكار لمجموعة كاملة اخرى من قضايا تاريخ الكورد وكوردستان.

ومما يثير الرضى في النفس هو ان الاهتمام، الذي أولته الدوائر الروسية المثقفة، و يعود الى اوائل القرن التاسع عشر، بقضايا الكوردلوجيا قد بدا بدراسة واصدار عدد كبير من الاعمال العلمية الممتازة والتي ضمنت حقا مكانا أوليا للاستشراق الروسي خارج حدود روسيا.

لقد حظيَ شرف خان بدليسي وعمله باهتمام كبير سواء في البلدان الغربية ام في الشرق، وعندما نقوم بدراسة كتاب شرف خان بدليسي وحياته وعصره فاننا نخطو خطوة اخرى نحو ادراك كتابه الخالد الذي هو ضروري للكورد اليوم اكثر من أي وقت مضى.

وتساعد الجهود الموحدة للمختصين في الشأن الكوردي في تسليط الاضواء على قضايا التاريخ الكوردي التي لم تدرس بعد وعلى قضايا اللغة والانتوغرافيا والجغرافيا والتذكير بالاسماء العظيمة في كوردستان.

الجزء الأول

الارض الكوردية في عصر شرف خان بدليسي

١- كوردستان، قرونا من التاريخ :

يعيش الشعب الكوردي في مركز الشرق الاوسط، عند ملتقى عوالم ثلاثة هي: العالم الايراني، و العالم التركي، والعالم العربي، هذا الشعب الذي أنشأ عالمه، العالم الكوردي المثير للدهشة، بما له من أصالة وخصوصية، وتأسست وحدة هذا العالم على الوعي الاثني، ولم يتمكن الكورد خلال تاريخهم الطويل الذي يمتد قرونا كثيرة، من انشاء دولة موحدة .

لقد تجسدت المقدرة البنائية - الحكومية للشعب في نطاقات الاقاليم االكوردية المتكونة تاريخيا التي اصبحت امارات، وكانت هذه الامارات كأجهزة حكومية في حالة من التبعية، لكن واقعية هذه الحالة وشدتها كانت ترتبط بمدى قوة المركز، الذي كان يقع دائما خارج حدود بلاد الكورد، فما ان تضعف قبضة المركز حتى كان زعماء الامارات والعشائر القوية يسارعون الى ادارة شؤونهم كحكام مستقلين

ولهذا السبب لم يكن اسم كوردستان يقصد به دولة قائمة بذاتها، بل البلاد التي يقطنها الكورد، وفضاء كورديا اتنو- ثقافيا موحدا، ولا ينفي هذا الاسم وجود المجموعات العرقية الاخرى، فقد عاش الكورد في عدد من المناطق مع الارمن، والعرب، والفرس، والاتراك، والاشوريين، جنبا الى جنب.

لم يتم العثور على اسم كوردستان في اعمال المؤرخين والجغرافيين العرب في عصر الخلافة ويعود ظهوره الى القرن الثاني عشر في عهد حكم السلطان السلجوقي سنجر (١١١٧-١١٥٧ م) عندما اطلق اسم كوردستان على ولاية مركزها في مدينة (بهار) في شمال شرق همدان.

وكانت الولاية المنقولة الى حكم ابن شقيق السلطان تشمل منطقة ممتدة بين اذربيجان ولورستان وتضم همدان، والدينور، و كرمنشاه، وسنه الى الشرق من سلسلة جبال زاغروس، وكانت تشمل ايضا شهرزور، و خفتيان الى الغرب من زاغروس ويحتوي المؤلف الجغرافي " نزهة القلوب " لصاحبة حمد الله المستوفي القزويني على وصف ولاية كوردستان واقاليمها الستة عشر، هذا المؤلف الذي وضع حوالي عام ١٣٤٠ م (انظر نزهة القلوب ١٩١٥: ١٠٢-١٠٣)

كان كتاب القزويني اول مصدر مكتوب ورد فيه ذكر اسم كوردستان، اما عصر السلطان سنجر فهو زمن ظهور هذا الاسم. لقد اقترح فريق من المؤلفين (توماس بوا) مثل هذا الاستنتاج الذي فيه نصيب من الافتراض، اما الفريق الاخر(ف. ب. نيكيتين، لى سترنج) فقد اخذ به كواقعة دامغة على الإطلاق. كتب نيكيتين يقول : لم يظهر هذا الاسم قبل القرن الثاني عشر،قبل عصر سينجر الذي قام بانشاء هذا الاقليم.

Nikitine 1956:23 , bois kurds , kurdistan el , vK, leStrong 1905:192))

والخاتمة ليست مبرهنة ومعللة بصورة كافية.

١. يدور الحديث في " نزهة القلوب " عن التسمية الرسمية لاقطاع يعود الحكم فيه الى ممثل الاسرة الحاكمة وقبل ان يتحول الى وضع رسمي، فان الاسم لم يستطع ان يظهر سابقا وقبل وقت طويل، كدلالة على اقليم سكن الكورد. وكانت تسمية كوردستان المتكونة بمساعدة اللاحقة الإيرانية " ستان" والمنتشرة على نطاق واسع، عن طريق ألحاقها إلى أتنوم " الكورد " قد أصبحت معادلا للأسماء مثل " كاردوخيا، كوردوين، كاردو، " والمثبتة في أعمال المؤلفين الإغريق والرومان والسريان، التي ظهرت إلى الوجود قبل عهد السلطان سنجر بزمن طويل .(driver 1921 : 563 – 565)

وفي كتاب و. غ. بولشاكوف، الذي يتناول فيه تاريخ الخلافة الإسلامية فان اسم كوردستان يدرك على نحو طبيعي وكمماثل لواقع تاريخي.

٢. يفصل زمن كتابة " نزهة القلوب " عن عصر سنجر قرنان من الزمن، وان اسم كوردستان خلال هذه المرحلة كان موجودا على الصعيد الرسمي، الا ان المؤلفين الناطقين بالعربية " لم يلاحظوا " ذلك.وكان بوسع هذا الاسم ان يبقى على النحو ذاته غير متداول خارج المصادر المكتوبة بالعربية، وذلك منذ بداية الخلافة.

٣. لا يجوز وصف حمد الله المستوفي القزويني بانه كان اول مؤلف استخدم اسم كوردستان. اذ اننا نجد ذكر هذا الاسم قبل ذلك، فمثلا نجده في المؤلف التاريخي لصاحبه رشيد الدين فضل الله الهمداني، هذا المؤلف الذي تم الانتهاء منه عام ١٣١٠ – ١٣١١م. والفارق الزمني بين تاليف هذين الكتابين ليس كبيرا، ويصل هذا الفارق الى

عدة عقود من الزمن. الا ان المهم هو واقعة وجود اسم كوردستان على صفحات " جامع التواريخ ". (جامع التواريخ ١٩٤٦ , ٩٩ , ١١٧). وهي تبرهن على ان الوقت لم يحن بعد لاعطاء جواب كاف ومطلق على سؤال حول ما هو المصدر الكتابي الذي ورد فيه ذكر اسم كوردستان للمرة الاولى ومتى ظهر هذا الاسم. ان ذلك يحتاج الى قراءة متمعنة في المصادر.

من المستبعد ان يكون السلطان سنجر هو الذي ابتكر اسم كوردستان او أحد مستشاريه، فهو اكبر اتساعا واهمية بما لا يقاس من التسمية الرسمية لاقطاع تابع لمثلي الأسرة الحاكمة ولا يكمن السبب في ان ولاية كوردستان لم تكن تشمل سوى الجزء الجنوبي الشرقي من المقاطعات الكوردية. ويشهد ظهور اسم كوردستان على بداية مرحلة محددة في عملية التشكل العرقي للكورد. وفي الاسم يجري النظر الى كوردستان على ما اعلنه الشعب من حق له في الارض التي يقطنها، وفي الوحدة والتكتل السياسي. ان اسم كوردستان (بلاد الكورد) اكثر اتساعا من جميع اراضي المناطق التي يعيش الكورد فيها بكثافة كبيرة , والماخوذة معا. ويحمل الاسم في ذاته فكرة الوحدة الكوردية المتجسدة في كلمة واحدة.وكان هذا الجانب موضع اهتمام الامبراطوريات والممالك، التي كان الكورد يدورون في فلك حياتها السياسية. ولهذا السبب كان من الممكن غض النظر عن الاسم وحتى شطبه.

وفي هذا الشأن فان مصير اسم كوردستان جدير بالاهتمام، فقد كان يلحق دائما باجزاء معينة للفضاء الاتنوثقافي الكوردي الواقعي واقتصر على الاراضي الكوردية وبصورة مبتورة حصرا *.

لقد وقع الواقع الثقافي- الاثني ضحية لمصالح الامبراطوريات السياسية، التي مزقت بلاد الكورد الى اشلاء من قرن الى اخر. ونرى خلف تقطيع اوصال بلاد الكورد وتشويه مصير اسم كوردستان مأساوية تاريخ الشعب الكوردي.

---

* في إيران ظل اسم كوردستان يطلق على اقليم أردلان ومركزه مدينة سنندج وفي القرن السا بع عشر كانت كوردستان تسمى ايالة في الامبراطورية العثمانية، التي كانت تضم ثلاثة مقاطعات هي: ديرسم ، موش، وديار بكر. وتظل ايران بعد ثلاثة قرون اخرى البلاد الوحيدة التي يوجد فيها اقليما يحمل اسم كوردستان.

ولا تبدد قراءة كتاب شرف خان بدليسي الشكوك حول قانونية او صلاحية ربط ظهور اسم كوردستان بحكم السلطان سنجر. وكوردستان، حسب ما يراه صاحب كتاب " شرف نامة "، هي مفهوم خارج الزمن، فقد كان يطلق اسم حكام كوردستان على جميع السلالات الكوردية الحاكمة بصرف النظر ما اذا حكموا قبل عهد السلاجقة ام بعدهم. يرد اسم كوردستان كثيرا على صفحات " شرف نامة " ونجده بعد كل خمس صفحات عمليا.

كان شرفخان بدليسي يرى ان حدود كوردستان تمتد من المحيط الهندي وحتى اذربيجان، ومن فارس حتى ملاطية ومرعش (شرف خان ١٩٦٧ : ٨٢ , ٨٣)،كما تحدث شرف خان في سفره وبصورة عابرة عن ولاية كوردستان في عهد السلطان سنجر وحاكمها سليمان شاه البويهي السلجوقي ابن شقيق السلطان و وريثه، وعن المطامع الناجحة للاتابكة اللور في اراضيه (المصدر السابق: ١٠٧) ولئن كان اسم كوردستان المتداول من جديد مرتبطا حقا باسم السلطان سنجر لراح مؤلف " شرف نامة " يبحث من دون شك عن امكانية عكس هذه الواقعة في عمله.

شهدت كوردستان صعود امبراطوريات كثيرة وسقوطها والتي كانت تطمح الى بسط سيطرتهاعلى بلاد الكورد.لقد انهارت الدولة الصفوية ولم يبق لها وجود وابتلعت الخلافة اقاليمها وأصبحت الأراضي الكوردية جزءاً منها، ثم أمسكت القبضة السلجوقية القوية بلدان الشرقين الاوسط والادنى واراضيها معا وساد حكم السلاجقة عدة قرون، وجاء من بعدهم المغول وتيمور لنك، والسلاطين قره قوينلو واق قوينلو، والعثمانيون والصفويون.

وكما يظهر كان على الهيئات السياسية والاليات الاقتصادية في كوردستان مع قيام حكم سلالة جديدة تغير وضعها وتحديثه. ولم يجر اعادة البناء هذه ولم تكن ثمة ضرورة في ذلك. فقد واصلت البنيات الاجتماعية والاقتصادية التقليدية في بلاد الكورد وظيفتها في كوردستان في عصر الخلافة ايضا،وكان المركز بحد ذاته يثير لدى الكورد رد فعل سلبي بوصفه نظاما للخضوع من الخارج.ولهذا يمكن عدَ المواجهة التقليدية في وجه السلطة المركزية موقفا تقليديا،ان كل قرن بدءا من القرن السابع وحتى القرن السادس عشر قد شهدت ثورات كوردية كثيرة. بصرف النظر عمن كان بيده مقاليد السلطة.

لقد كان مستحيلا فرض سلطة فعلية على الكورد في المناطق الجبلية الوعرة من كوردستان ومن دون موافقتهم، ناهيك عن الحفاظ على هذه السلطة عمليا، وكان التأثير على الاراضي الكورد صعبا دون اجراء حوارمع قادتهم السياسيين.

لا يحصى عدد الثورات الكوردية فهي كانت كثير جدا، فقد اخمدت قوات الخلافة اكثر من مرة الاتحادات العشائرية الكوردية الهذبانية، والهكارية،والجلالية،والبشنوية. ومما يمثل مؤشرا في هذا الشأن هو استعداد الكورد في دعم الحركات الكبيرة التي كانت تقوم ضد المركز، والمشاركة فيها مشاركة قوية. وقد كان بوسع هذه الحركات ان تصطبغ بصبغة ايديولوجية، أو أن لا تكون مثقلة بالشعارات الفكرية،ولم يكن ذلك يرتدي اهمية مبدئية بالنسبة للكورد. وقد اتاحت المشاركة في الانتفاضات المجال امام الكورد لأن يصبوا جام غضبهم على المركز وعدم القبول به.

كانت غزارة الانتفاضات الكوردية شهادة على عدم خضوع الكورد الدائم. وينبثق سؤال مشروع تماما حول واقعية وضعهم الخاضع.و للوهلة الاولى تبدو النتيجة مفارقة، لقد قام العرب بغزو الاراضي الكوردية ودخلت ضمن عداد الخلافة الاسلامية، مثلما دخلت هذه الاراضي الى عداد الامبراطورية السلجوقية والى دول المغول وقره قوينلو، واق قوينلو والصفويين والسلاطين العثمانيين. الا ان الكورد لم يصبح شعبا خاضعا في القرن السابع ولا في القرون التي اعقبته. فلم يسطتع أي فريق من الغزاة ان يتباهى بانه اخضع الكورد لسيطرته، والذين كانوا يقعون في قلب مركز المواجهة ويتصدون للغزاة واول من تحملوا الضربات الاكثر حساسية وتاثيرا. لقد حمل الشعب الكوردي معه عدم انصياعه وعدم خضوعه عبر القرون،مع ان كوردستان، بلاد الكورد, لم يكن لها نظام دولة, وساعد بعد المسافة عن المركز الحفاظ على الارض التي يترحل فيها الرحل و على آمن العشيرة. وان لم تكن لدى الكورد في الحالات الحرجة امكانية اللجوء الى جبالهم حيث كانت العشيرة والاراضي التي تترحل عليها حصنا منيعا لهم، فقد كانوا بالكاد يستطيعون الحفاظ على انفسهم كمجموعة اثنية في دوامة الهزات السياسية في المنطقة.

لقد كان بوسع الجهة الغازية شن الحرب ضد الكورد وكسب المعركة (ليست دائما) وبوسعها حرق المدن والقرى الكوردية وتدميرها، لكن اخضاع الاراضي الجبلية التي يترحلون فيها وتنقلات العشيرة كان امرا مستحيلا عمليا.

لقد صنعت، قدرة الكورد في اكثر مراحل تاريخهم صعوبة في تحويل أو نقل القوى المنتجة من القرية الى المراعي، آلية الحفاظ على الذات والبقاء على حياتهم في اكثر المواقف الحرجة،واتاحت لهم الابتعاد مسافة معينة عن الغزاة سواء كانوا عربا ام تركا ام سلاجقة او مغولا وتركمانا.

ولهذا السبب فان ما يثير شكوكا كبيرة تلك الموضوعات التي نجدها احيانا والمتحدثة عن تعريب الكورد وتتريكهم واسلمتهم بصورة قسرية. فالشعب الذي آثر البقاء والحفاظ على الذات قد وضع آلية حفظ الذات الثقافية-العرقية رغم جميع الصراعات السياسية وفي ظل كل تصنيف او توزيع للقوى السياسية، فان محاولة فرض ديانة عليه ان هي الا محاولة عقيمة كانت تبوء بفشل ذريع. كانت كوردستان بوصفها فضاء اتنو- ثقافيا تتعرض للتاثيرات من جميع الجهات ومشرعة الابواب امام جميع التيارات الثقافية والاثنية. وفي هذا الاثناء كانت لدى الكورد مناعة نحو كل غريب ولا سيما نحو كل نفوذ وتاثير يفرضان عليهم من الخارج.ولما حافظت كوردستان على عالمها من التطاولات الخارجية فانها ظلت كوردستانا.

ومع ذلك لم يقم المركز بتهدئة الكورد وقمع ما يقومون به من ثورات فحسب فقد جرى اشراك ممثلي الطبقة الاقطاعية الكوردية في هيئات الادارةالاقليمية وتم تعينهم وكلاء في المدن والاقاليم.

كان الشعب الكوردي في جميع الازمنة يشكل مصدرا لاينضب معينه للطاقة العسكرية للمركز. وكانت بسالة الكورد العسكرية وشجاعتهم في الحروب موضع طلب من الاجهزة العسكرية في جميع الامبراطورايات والسلالات الحاكمة، التي كان الكورد موضع استقطاب في فلك وجودها السياسي. وحسب ما يراه باسيل نيكيتين كان الكورد عسكريين أشداء يحظون باعتراف الجميع ويتعذر قهرهم، وقد لعبوا دورا معينا

في عصور الاسلام الاولى (نيكيتين ١٩٦٤: ٢٧٣) ويمكن القول بثقة بانهم قاموا بأداء هذا الدور على نحو رائع في القرون اللاحقة أيضا.

كما سبق لنا ان ذكرنا فإن سلطة المركز كانت تثير لدى الكورد نزعة معادية دائما. فقد كانت اقاليم كوردستان تعتمد على ذاتها وعلى الاشكال المحدودة للتعامل الاجتماعي –السياسي : الامارة والعشيرة. وكانت العشيرة هي الهيئة الاجتماعية - السياسية في المجتمع الكوردي العضوي ولحد كبير ، هذه العشيرة التي واكبت تاريخ الكورد منذ بداياته. وبدت العشيرة والامارة كما اسلفنا بمثابة اشكال للتكامل الاجتماعي والسياسي الاكثر تعقيدا للهيئات الصغرى والهيئات العليا وذلك في ظروف التمزق الدائم لبلاد الكورد الى اجزاء.

جرت التحولات السياسية في كوردستان في ظل الارتباط المتبادل والوثيق بين هاتين الهيئتين، وكانت بيوت الصفوة في كوردستان، التي كانت تتزعم الامارات والمجموعات العشائرية الكبيرة بمثابة حصن يحمل بناء الحياة الاجتماعية للكورد بصرف النظر ما اذا كانت مطلوبة من أجهزة السلطة في المركز. وكانت القدرة الاجتماعية - السياسية الكامنة فيها على جانب كبير من القوة، بحيث وجدت تجسيدا لها في ظل حدوث اقل تغير مناسب للوضع بحكم ان المجتمع الكوردي اكد منذ زمن بعيد على حقها. ومع مرور الوقت اكتسب هذا الحق الشرعية وصار من الامور المسلمة بها. ولم يكن الحاكم، الذي كان تعيينه يتم من المركز يمر في هذه الدورة الطبيعية، التي كانت من شأنها ادخاله الى صفوف النخبة الكوردية وان يجعل وجوده فيها قانونا لايقبل الشك.

كان الانتماء الى بيت النخبة والاسرة يشكل قيمة كبرى بالنسبة للمجتمع الكوردي. فالنسب والاصل الكريم كانا يقومان بتغطية باقي القيم الاجتماعية. ومع مرور الزمن اكتسبت سلطة السلالات الاميرية البارزة صبغة كارزمية واصبح اسم العائلة رمزا –راية. فقد ظلت سلالة المروانيين (٩٨٣- ١٠٨٥م) بما لها من بريق كارزمي في ذاكرة الكورد، هذه السلالة التي تركت ظهورها على المسرح تاثير انفجار سياسي. فقد بسطت السلالة حكمها على جزء هام من كوردستان، ويمكن ان نذكر اسم احمد بن مروان (١٠١٠ – ١٠٦١ م) المعروف باسم نصر الدولة. وقد تم سك النقود باسم نصرالدولة وذكر اسمه في خطبة الجمعة، الامر الذي يتحدث عن الوضع المستقل والحقوقي للمروانيين في ظل حكمه.

يرتبط تاريخ منطقة الشرقين الاوسط والادنى بمجرى التحولات المتوجهة من الاطراف الى المركز، ومن المركز إلى الأطراف. فقد تحول هذا الفضاء الفسيفساني اثنيا وبقوة السلاح الى دولة عظيمة الى حين. ثم توالت بعد ذالك موجة من المركز الى الاطراف دخلت مرحلة طويلة من الانقسام والتجزئة وسيادة دول اقل شأنا. وحسب وما استنتجه مينورسكي فقد شارك الكورد في القرون الخمسة الأولى من الهجرة في حياة المنطقة السياسية، وأصبحت المبادرة في ايدهم اكثر من مرة. وتؤكد المصادر على وجود سلالات كوردية حاكمة في القرن السابع وحتى الحادي عشر.

لقد وضعت العشائر وبيوت الصفوة في كوردستان دعائم المجتمع الكوردي وأساس الوجود الاجتماعي، الذي جرى بناءه قرونا. وقد تمكنت حياة المجتمع الكوردي بفضل ذلك، هذه الحياة التي جرت تهذيبها الى ابسط تقليد ودون ترك مكانا للشكوك، من مواجهة الصدمات الخارجية . لم يسمح العالم الكوردي، الذي شارك في الحياة السياسية مشاركة فعالة وهو يسمح بنفاذ جميع صراعات الموقف السياسي من خلاله، بالذوبان فيها. وكانت التوجهات الاجتماعية - السياسية الرئيسة للكورد تقع دائما خارج حدود التوجهات الرسمية. وكانت صيرورات التماسك العرقي تختفي وراء هذه المسافة ،هذه الصيرورات التي كانت بطيئة، لكن عودها كان يتصلب ويزداد قوة باستمرار.

وعلى الرغم من التجزئة الظاهرية لبلاد الكورد فان التصور القائل بأن العشائر والامارت الكوردية كانت تعيش كل واحدة منها حياتها الخاصة هو تصور مخادع جدا. فلم يكن يوجد تشتت سياسي واقتصادي شديد، فالاقاليم الكوردية كانت تعيش وفق نظام الاواني المستطرقة .فقد كانت نفقات الوضع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي تتشابك على الأراضي الكوردية المجاورة. ولم تقف حدود ممتلكات امراء بوهتان، اردلان، هكاري ، بابان، بدليس، وغيرها من الامارات حائلا امام الهجرات الاجتماعية للسكان في سنوات الجفاف وفي اوقات الهزات السياسية. ومرت الحياة السياسية عمليا في مجرى واحد، وامسى مصائر السلالات الحاكمة في وحدة مع بعضها.

كانت مجموعات الرحل تقوم بعبور جميع الحدود في كوردستان ودون عائق، حيث ان دروب تنقلها تحظى بقدسية العرف والتقليد وكان من الصعوبة بمكان صرف عشائر الرحل وشبه الرحل عن طرق حلها وترحالها، ولم يكن ذلك حتى بمقدور اولئك الامراء الذين ظهروا في هيئة المانعين.

ففي الظروف الجبلية كان التخلي عن الطريق يعني تهديد امن المجموعة الراحلة وعرض حياتها للخطر وربطت عشائر الرحل وشبه الرحل في تنقلاتها من مكان الى اخر واتصالاتها مع بيئة الحضر الاقاليم الكوردية معا، وفي آلية اقتصادية واحدة وحولتها الى فضاء اقتصادي واحد الى بلاد الكورد دون ادراك منها لذلك.

حسب راي العديد من الباحثين والمهتمين بالشأن الكوردي (انظر نيكيتين١٩٦٤: ٢٦٧) لم تحمل المرحلة التاريخية منذ القرن السابع وحتى القرن الخامس عشر أي شيئ معها للكورد . فكما يرى ف. ب. نيكيتين فان هذه المرحلة كانت مليئة بمطامع الاتراك والفرس والمغول وغيرهم في السلطة، بينما لم يقم الكورد سوى بمشاركة في الاحداث مشاركة فعالة، وكانو ينضمون الى هذا الفريق المتنافس تارة والى الفرقاء الاخرين تارة اخرى وهم يقومون بالمناورة بين الخلفاء، والبويهيين والديالمة والسلاجقة.

وربما جلبت هذه المرحلة منافع انية قليلة للكورد حقا ، لكنها ادت الى تنامي فكرة كوردستان كفضاء اتنو- سياسي كوردي موحد وفي ذلك الحجم، مثلما عبر عنها في القرن السادس عشر شرف خان بدليسي في كتابه " شرف نامه"

٢- القرن السادس عشر هو منعكف تاريخى – عصر شرف خان بدليسى:

في نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر كانت بلاد الكورد تدنو من مرحلة جديدة في تاريخها، فقد اثارت الضربات القوية السديدة التى وجهها سلاطين اق قوينلو الى الحكام البارزين في كوردستان في القرن الخامس عشر النزعات التوحيدية وتقويتها. وراح التنافس التقليدي يترك تدريجيا المكانى للبحث عن مركز وزعيم كوردي واحد، يكون الجميع على استعداد للاعترافبزعامته بما فيهم حتى اولئك الذين لم يعترفوا باحد من قبل.

وتجلى الطموح المشار إليه نحو المركز في اختيار الامير الاقدم، الذي يجرى ذكره في "شرف نامه " وكان مثل هذا القائد هو حاكم العمادية، الذي كان جميع امراء كوردستان وحكامها يعترفون به، وراحوا يستشيرونه في حل جميع قضاياهم. كان امير العمادية "يترفع عن الآخرين" (شرف نامه :١٩٦٧ : ١٧٠). وفي اوائل القرن السادس عشر قام عشرة من الأمراء الكورد بتسمية حاكم بدليس الأمير شرف والملك خليل، حاكم حسن كيف(حصنكيف، هسكيف) زعيما لهم، وكما لو كان قيام دولة حسب انموذج الامارات العربية المتحدة جاهزا للظهور في كوردستان ، وكان يطرق الباب، ولم تجد الفكرة تجسيدا لها. فقد انفجر الوضع السياسي في المنطقة اثر نشوب حرب بين الامبراطوريتين العملاقتين، الإمبراطورية العثمانية والإمبراطورية الصفوية، وشاءت الأقدار أن يكون الكورد في لجة الصراع الدائر بينهما.

ظهر العثمانيون منافسين اشداء، بعد ان استجمعوا قواهم كقوة عظمى منذ نهاية القرن الرابع عشر، واقتحم الصفويون الحياة السياسية بشدة في بداية القرن السادس عشر. وفي عام ١٥٠١ م تم تتويج اسماعيل الاول، الذي كان اول ممثل للسلالة الجديدة شاهنشاها على ايران.

تزعم الصفويون الاخوة الصفوية* والاتحاد القوي للعشائر الناطقة بالتركية، التى انتقلت من اسيا الصغرى الى ايران بسبب عدائها الديني مع السلاطين العثمانيين. واطلق عليهم اسم القزلباش* لكون عمامتهم كانت تزين بالاثني عشر شريطا احمرا وذلك تذكيرا بالاثني عشر اماما من الشيعة.

لقد ادى الاتحاد الخطير لفكرة الصوفية، والتصوف الاسلامي مع إيديولوجية التضامن العشائري

---

* الصفويون (حرفياً صوفي.)اما د. زرار صديق توفيق فيقول هذا غير صحيح، بل نسبة الى جدهم الاعلى صفي الدين.

* القزلباش يعني حرفياً" الرؤوس الحمراء."

التي لم تكن اقل قوة من سابقاتها الى ولادة نهوض للطاقة الدينية على جانب كبير من القوة الفنطازية

بحيث أن الصفويين لم يعرفوا الهزائم في بداية طريقهم.

بعد اعتلاء الشاه اسماعيل العرش الايراني، اندفع القزلباش نحو الغرب يحدوهم في ذلك موجة الوفاء للاخوة الصوفية، واستولت جيوشهم خلال عقد من الزمن على المناطق الممتدة من بغداد وحتى مرعش، فقاموا باحتلال ديار بكر، وحصنكيف، وسرت،و صاصون، وعتاق، وميا فارقين، وبالو، واكيل. وزج اسماعيل الاول بأحد عشر اميرا كورديا في غياهب السجون، والذين وصلوا الى تبريز لتقديم فروض الطاعة والولاء للشاه. وانتقلت الجزيرة، وحصنكيف، و جمشكزك، واكيل، وبالو، وجرموك، وترجل، و جابقجور، وعتاق. وقد ابدت بوهتان والبوهتانيون،و جمشكزك (ديرسم) وعشيرة ميلكيشي مقاومة عنيفة وتواصلت الحرب مع عشيرة بوهتان سنوات عدة.

تكونت علاقة الشاه اسماعيل مع الامراء الكورد على نحو مختلف، فقد كانت لديه رغبة شديدة في ازاحة العائلات الكوردية التي تنتمي الى اصول نبيلة قديمة جانبا، الا أنه كان لابد من وجود نقاط ارتكاز في بلاد الكورد . ومنح الشاه الصفوي شهادة حكم لحاكم هكاري، وكان يقوم بمجاملة امير العمادية، وحصل امير شيروان على ممتلكات جديدة له فيها حقوق الملكية.

تغير ميزان القوى السياسية منذ ان تبوأ السلطان العثماني سليم (١٥١٢ – ١٥٢٠م) العرش، وتحول منهج سياسية تركيا الخارجية من الغرب الى الشرق تحولا خطيرا، فقد تحول نحو الاقاليم الواقعة شرق الفرات، وكانت كوردستان اول من تلقت الضربات من الشرق والغرب .وفي ٢٣ اب عام ١٥١٤م التقى الجيشان الصفوي والعثماني لخوض معركة حاسمة في وادي جالديران الواقع في شرق بحيرة أورمية. وقد انهزم القزلباش فيها ولاذ الشاه بالفرار تاركا العرش والحريم والخزينة. لقد تلقى الصفويون ضربة قوية،الا ان الحرب الايرانية_التركية راحت تأخذ منحى جديدا أو سينا

إذ تم من الآن فصاعدا أي خلال القرن السادس عشر ولغاية القرن الثامن عشر انفاق الموارد العسكرية للامبراطوريتين وهدر طاقاتهما على المواجهة فيما بينهما وحتى بعد رحيل السلالة الصفوية الحاكمة من المسرح السياسي. من المتعارف عليه ان عام ١٥١٤م ومعركة جالديران بالنسبة للتاريخ الكوردي قد دشن بداية مرحلة جديدة وبداية تقسيم لبلاد الكورد بين تركيا وايران. وكان تقسيم كوردستان واعادة تقسيمها كان احد اهم مسائل المعاهدات التركية الايرانية في السنوات اللاحقة، التي تحتاج الى اعادة النظر فيها وتعزيزها.الا ان التقليد التاريخي قد ربط بشدة بدايات تقسيم كوردستان منذ عام ١٥١٤م، أما بالنسبة للأجيال الكوردية القادمة فان اللحظةالاكثردرامية في التاريخ قد بقيت في القرن السادس عشر،عندما كانت بلاد الكورد في منعطف مصيرها التاريخي. وبوسعنا الحديث عن ضم الاراضي الكوردية منذ ايام معركة جالديران الى مجال المصالح الحيوية للامبراطوريتين العثمانية والصفوية،وقد طرحت نتيجة المعركة مسألة الموقف الذي اتخذه الكورد في الصراع الإيراني - التركي.لقد اتسم توزيع القوات الكوردية بطابع تقليدي،فقد حارب فريق من الامراء الى جانب السلطان،في حين ان الاخرين قاموا بدعم الصفويين.ولم يلق الشاه ولاالعثمانيون ضمانا على اخلاص الكورد لهم، بل وحتى اولئك الامراء الذين شاركوا في معركة جالديران لم يكونوا موضع ثقة تامة، والبرهان الدامغ على ذلك هو مثال عشيرة بازوكي.

كان خالد بك بازوكي زعيم عشيرة كوردية قوية وقف الى جانب الشاه قبل وقوع معركة جالديران، وراح يخدم عنده وفقد يده في احدى المعارك،فأمر الشاه بصب يد له من ذهب وسلمه مقاليد الحكم في خنوس،و ملازكرد واوحكان موش. و بعد مضي بعض الوقت كان خالد بك بازوكي لا يحسب لأحد حسابا، ويطمح في السلطنة وراح يسك عملته النقدية ويتلو اسمه في اثناء خطبة الجمعة . وفي نهاية المطاف اعرض عن القزلباش واعترف بسلطة سليم الاول وشارك الى جانبه في معركة جالديران. ومع ذلك وفور احراز النصر جرى اعتقال خالد بك بازوكي وهو في طريق عودته من ساحة المعركة ، وقد اعدم بناء على امر اصدره السلطان (شرف نامه ١٩٦٧: ٣٧٥).

ويشير ماقام به السلطان سليم من اجراء تأديبي ضد خالد بك بازوكي الذي اتخذ موقفا واضحا الى جانب الاتراك في معركة جالديران الى أنه لم يكن كافيا في نظر السلطان و نهائيا، كما ان ما يقارب من ٢٠ اميرا كورديا لم يكونوا موضع الثقة. وكان الامر يحتاج الى اداء مهمتين بصورة عاجلة، وهما تحويل الكورد باتجاه مجرى السياسة الموالية للعثمانيين وطرد القزلباش عن طريق قوى الوحدات الكوردية. واخذت مواقف الامراء والعشائر الكوردية تكتسب اهمية حاسمة في ترتيب القوى السياسية.

لم تجد الافاق المناسبة لكوردستان تجسيدا لها في الوضع الناشئ، فقد مارست الامبراطوريتان المتصارعتان ضغطا قويا على كوردستان من كلا الجانبين و وضعتا الكورد على سرير بروكسيت كوضع حاجز*.

ومن الان فصاعدا كانت الدولتان الكبيرتان تطمحان الى فرض سلطة فعلية على الكورد ولم يكن يرق بعد لكل من ايران وتركيا ان تشاهداالامارات الكوردية وهي في وضع تابع.

لقد تم ممارسة القوة للضغط على الحكام الكورد واقترن ذلك بحملة معسولة للتاثير بالوسائل الدبلوماسية. وقد عهد الى الملا ادريس الحكيم الصوفي الكوردي والشخصية الدينية، الذي اشتهر باسم ادريس الحكيم بهذه المهمة. فقد قام الملا ادريس شخصيا باجراء المفاوضات مع امراء موكري،و برادوست،و سوران، وبابان، وقام بزيارة العمادية والجزيرة و خيزان وبدليس. وحسب ما اورده محمد امين زكي من معلومات فقد جرى التوقيع على معاهدة ابرمت بين الحكام الكورد والسلطان سليم الاول، تضمنت

---

* بروكسيت هو قاطع طريق يوناني كان يعذب ضحاياه بطريقة فريدة من نوعها ، وكان له فراش او سرير كبير

و أخر صغير وكان يضع المسافرين الطويلي القامة على السرير الصغير والمسافرين القصيري القامة على السرير الكبير ثم يعمد الى قطع ارجل طويلي القامة فيقطعها لانها تتعدى الفراش الصغير اما القصيري القامة

فكان يجذب ارجلهم وأيديهم حتى يكونوا تماما على قدالفراش الكبير. (المترجم)

بنودا حول استقلال الامارات الكوردية وعن قيام الكورد بتقديم المساعدة للاتراك في جميع الاشتباكات العسكرية ضد القزلباش. وفي حقيقة الامر فان ما بذله الملا البدليسي ادريس الحكيم من جهود، وما قام به من مساعي كانت هدفها توجيه القدرة العسكرية الكوردية وتحريك جيش كوردي كثير العدد يتمتع بجاهزية قتالية. وعندما دارت رحى المعارك بين القوات الايرانية والعثمانية في عام ١٥١٥ م بالقرب من قوج هسيار شغلت الوحدات العسكرية بقيادة الامراء الكورد الجناح الايسر للجيش التركي كله، وتم احراز نصر جديد على القزلباش وتم الاعتراف بالدور الحاسم الذي قام به القوات العسكرية الكوردية في المعارك القائمة التي جرت بين الطرفين.

وتوالت بعد قوج حصار سلسلة طويلة من الحروب والحملات من الجانبين بحيث استمرت حتى المعاهدة الايرانية- التركية عام ١٥٥٥ م، وبدأ التدخل التركي الجديد عام ١٥٧٨ م.وقاد شرف خان بدليسي صاحب كتاب " شرف نامة " قوات السلطان، التي كانت في المؤخرة تقوم بتغطية القوات المهاجمة، وكان الطرفان الايراني والتركي يقومان باستغلال الكورد كقوة عسكرية، وقد ضحى الكورد بحياة خيرة جنودهم في سبيل انتصار العثمانيين والصفويين.

جرت العادة للتفريق بين سياسة الحكام في ايران الصفوية وتركيا العثمانية على انها سياسة اقل او اشد صرامة، فقد كان يجري النظر الى مؤسس الامبراطورية الصفوية على انه يواصل سياسة اوزون حسن اق قوينلو، الذي كان يسعى الى ازاحة الحكام الكورد جانبا. ومما يؤكد على ذلك وبشكل واضح هو الزج باحد عشر اميرا كورديا في سجن تبريز، جاؤوا الى الشاه اسماعيل لتقديم فروض الطاعة والولاء له . ويجري تفسير الرد غير المناسب للشاه على حبكة عادية للممارسة السياسية في العصور الوسطى بالنشوة التي اصابته اثر الانتصارات الاولى للصفويين ونجاحاتهم.

وصفت سياسة السلاطين العثمانيين على انها سياسة ترمي إلى : " منح تنظيم إقطاعي للكورد، يضمن الاولوية للنخبة الكوردية " (Minorsky , kurds el ,v 457) وفعلا طبق العثمانيون هذه القاعدة في أوائل القرن السادس عشر، لكن بعد عقد ونصف أو عقدين من الزمان سيكون متعذرا توجيه " اللوم " في

غياب الشدة والصرامة. وستكون واحدة المبادئ الأساسية في سياسية الدولتين الكبيرتين إزاء كوردستان.

وكادت أن تكون متساوية قوة الضغط التي مارستها ايران وتركيا على العشائر والسلالات الكوردية الحاكمة، وان كل من لم يرغب في الخدمة او كانوا يخدمون الخصم سواء أكان زعيما سياسيا أم عشيرة بكاملها كان يخضع للحذف من السياق السياسي، واحيانا، عندما كانت الاعمال التأديبية غير مبررة ولا معنى لها بحيث انه كان يجري ابادة كل ما هواشد فعالية ولدية طاقةكامنة. ويمكن ان يكون ما آل اليه مصير خالد بك بازوكي المذكور آنفاً مثالا على ذلك، الذي جرى اعدامه بأمر من السلطان سليم الاول وهو في طريقه من وادي جالديران، حيث كان للتو يقاتل الى جانب السلطان ضد القزلباش. لقد كان الامير القوي لعشيرة كوردية مقتدرة يثير الخوف في نفوس العثمانيين حتى وان كان يقاتل في صفوف الجيش العثماني.

كما جرى إعدام محمد بك حاكم شيروان، لكونه قام بتسليم قلعة باركيري إلى الشاه طهماسب، فقد تم شنق امير كوردستان ورجالاته على الاشجار الواقعة على قارعة الطريق وذلك بأمر من السلطان سليمان القانوني. لقد ورد في "شرف نامة"ذكرعدد كبير من الأمراء الكورد الذين اعدموا وكانوا يتنمون الى اسر حكام جمشكزك، وسوران،و ميا فارقين، وعشائر محمودي، وبازوكي، وسويدي، وداسنيا،و برادوست، وبابان. وقد قام الصفويون باعمال تأديبية لا تقل هولا وفظاعة من تلك التي قام بها الاتراك العثمانيون , فقد تم ابادة ما يقارب نصف افراد عشيرة دنبلي و جنكيني بأمر من الشاه طهماسب. وكانت الحرب التى شنتها الامبراطوريتان والتى وجدت تبريرا لها من الجانبين بالدفاع عن مصالح نقاء المثل الاسلامية، فقد ارتكبت خلالها أعمالا وحشية بحق شعب، كان في مركز المواجهة بين الجانبين بحكم خصائص وضعه الجيوبوليتكي.

لقد أبقى التاريخ الكورد قرونا في نظام علاقات تبعية للدول العظمى ولم يقم هذا النظام خلال قرن واحد. وفي القرن السادس عشر تم وضع آلية لقيام وتجسيد اوصر التبعية، المصقولة في ابسط شكل للعلاقة المناسبة، وكان مراعاة هذا الشكل من الاتيكيت أو عدمه مماثلا للادارة السياسية. كما قام حكام الاقاليم والامارات

الكوردية بضم العشائر والسلالات الحاكمة إلى مدار وجودهم السياسي، وقد شيدت علاقاتها بالخطاطة ذاتها.

بذل العثمانيون والصفويون جهودا كبيرة طيلة القرن السادس عشر بغية فرض سلطتهم الفعلية على كوردستان، ولهذا لم تؤد التظاهرة الجماعية لاحد عشر أميرا كورديا، الذين عبروا فيها عن الطاعة والولاء للشاه طهماسب عام ١٥٠٥ م إلى قيام تبعية تقليدية، لان فروض الطاعة والولاء وحده لم يكن كافيا،فالدولتان الكبيرتان كانتا تطمحان الى خضوع حقيقي.

تعرضت ممتلكات حكام كوردستان واراضيهم لتقسيم موجه وذلك عن طريق ادخال نظام اداري جديد الى الامبراطورية العثمانية الا وهو نظام التقسيم الى مقاطعات - سناجق. وتعرضت امارة جمشكزك القوية نتيجة ذلك للتقسيم الى سنجقين اثنين و١٤تيماراوزعامات*، وحسب شرف خان بدليسي فان اسم هذه الامارة كان يتداعى مع اسم كوردستان. وتم تسليمها الى ابناء وأحفاد بير حسين بك الذي تقلد زمام السلطة كلها واصبحت حقوق ملكيتها عائدة لهم. وفي هذا الاثناء تم الاتفاق على شروط التملك،الأمر الذي يستأثر باهتمام خاص. وكان على احفاد بير حسين بك ان لا يطلبوا لقبا ومنصبا اخر في الممتلكات الحكومية التي يحفظها الله. وهنا نشير الى ان قلعة جمشكزك حصن سلطة دار الامارة وكذلك القرى والمقاطعات " خليق بملكيتها للحاكم "، قد ذهبت الى الممتلكات الحكومية، وانقسمت الاسرة الاميرية الى مجموعات متصارعة جراء تكتلات الزعامات والتيمارات، بعد أن فقدت قوتها السابقة، وحكمت سلطان الباب العالي على المجتمع الكوردي بالتجزئة وتفتيت بنيته السياسية والاجتماعية. ظلت المادة الواردة في معاهدة السلطان سليم الاول مع الكورد، والمعقودة حسب معلومات محمد امين زكي في تخوم عامي ١٥١٤ — ١٥١٥ م حبراعلى ورق, وذلك في لحظة حاسمة للمواجهة العسكرية بين ايران وتركيا، وقد أظهر العقدان اللاحقان أن السلطات العثمانية لم تكن تبالي قط بطموحات الكورد ومنح الامارات

---

*

الكوردية استقلالها. ومنذ البداية انتهجت سياسة التقسيم القسري للامارات الكوردية الى اقاليم صغيرة لا شأن لها. ولا تؤكد المعلومات الواردة في كتاب" شرف نامه " على موضوعة بشأن سياسية الصفوين والعثمانيين ازاء الاسر الحاكمة في كوردستان بوصفها سياسة صارمة على نحو اقل او اكثر، فلم يوجد فارق مبدني بين سياسة السلاطين العثمانيين والشاهنشاهات الايرانيين، فقد مارس الجانيان سياسة صارمة ووحشية ضد الكورد بصورة دائمة وطيلة القرن السادس عشر كله.

حمل القرن السادس عشر وضعا حاجزا لبلاد الكورد، فقد تحولت كوردستان الى جدار يفصل بين امبراطوريتين متخاصمتين، والى جدار قائم من دم الكورد ولحمهم.ولم تستطع أية امبراطورية من الامبراطوريات التباهي بأخضاع الكورد لها. لقد كانت كوردستان في حالة من العصيان الدائم وعدم الانصياع لاحد، فالقرن السادس عشر والقرون اللاحقة ·كانت قرونا اشتدت فيها المقاومة الكوردية، فقد ثارت العشائر ونهض الحكام وأقاليم بأكملها، وحاولت الامبراطوريات العظمى المتصارعة وفي وقت الفراغ من العمليات العسكرية وضع خط فاصل، الذي لم يتخذ صورته الدقيقة لغاية القرن التاسع عشر.

دفعت حالة الحاجز ببلاد الكورد الى العيش في معمعان الاحداث العسكرية والسياسية، فالارض الكوردية كانت تتلقى الضربات من الجانبين بصرف النظر عن الامبراطورية المتنافسة التي قامت بشن الهجوم وبصرف النظر من كان يخرج من الحرب منتصرا، ودفعت كوردستان ثمنا لكل ما لحق بأقاليمها من دمار وخراب وقتلى وما لم يتم وضعه من مؤلفات العلم والثقافة، كما دفعت بحياة الآلاف من الكورد الذين سيقوا إلى مجازر الحروب والمواجهات بين الامبراطوريتين. والعالم الكوردي، الذي تغلب ببطء وبصعوبات كبيرة على الصراعات الدينية والعشائرية، قد عقد العزم عند ملتقى القرنيين الخامس عشر والسادس عشر على الوحدة، و كان مضطرا على التوجه الى حل قضايا اخرى. وقام العالم الكوردي بتوجيه قواه نحو الصمود في وجه الاعداء، وعدم السماح للاخرين بسحقه وعدم تصفية بعضهم البعض عندما كان يقوم بتقديم فروض الطاعة و الولاء للشاه او للسلطان وذلك عوضا عن البحث عن المركزية ووحدة جهود

الامارات والعشائر. كانت تركيا وايران تقومان دائما بتأجيج نار النزاعات بين الحكام الكورد واثارة الحروب والفتن الداخلية بينهم. وفي هذا الاثناء لم يتصرف الجميع دائما مثلما كان الموكريون يتصرفون، وذلك حينما رفضوا الانصياع والمشاركة في قمع انتفاضة امير خان برادوست ، ونجد أمثلة كثيرة على صفحات "شرف نامة " التي تؤكد على تنفيذ مثل هذه الأوامر.

وقفت السلالات الحاكمة في كوردستان واماراتها الرئيسة صامدة في وجه اشد الضغوط السياسية والعسكرية من جانب امبراطوريتين متخاصمتين العثمانية والصفوية. فقد اعلن بيت امراء اردلان عن استقلاله في اوائل القرن السابع عشر ويرجع نقطة انطلاقته الى اوائل القرن السادس عشر، وقد وصفت طريق صعوده واخفاقاته اللاحقة في الاسفار المحلية وبالتفصيل.

تمكن امراء هكاري من تجنب صدامات كبيرة في المعارك الطاحنة التى دارت رحاها بين الامبراطوريتين العثمانية والصفوية، ففي عام ١٥٣٤ م انضمت إمارة هكاري إلى الإمبراطورية العثمانية رسميا، بينما ظلت امارة مستقلة من الناحية العملية، غير أن الإمارة انغمست في منتصف القرن السادس عشر في النزاعات والحروب الداخلية، وتواصل تحول ممثلي الدار الاميرة " من عتبة الى اخرى " من العثمانيين الى الصفويين وبالعكس ولعشرات السنين.

كانت اسرة حكام بهدينان تتعاون مع الصفويين ومع العثمانيين أيضا. وفي عام ١٥٦٦ -١٥٦٧م وصف شرف خان بدليسي اميرالعمادية بالحاكم المستقل، وقد شغل دار امراء بوهتان موقعا قويا حتى نهاية المرحلة المصورة في" شرف نامه "، اما عشيرة بوختي فقد ظلت حصنا لسلطتها. ووجدت جميع المحاولات الخارجية الرامية للتدخل في حياة الامارة السياسية مقاومة عنيفة من الاتحاد العشائري.

شغل امراء سوران موقفا رفيعا حتى نهاية القرن السادس عشر، رغم ما كان يقوم الباب العالي من محاولات ترمي الى اغراق الكورد في اتون الحروب الدينية الداخلية بين الكورد — الايزيديين والكورد المسلمين ، وقد تمكن امير سوران من تغير الوضع واصبح منذ عام ١٥٨٥- ١٥٨٦م حاكما قويا وصاحب سلطة، وفي عام ١٥٩٧م حكم وبصورة مستقلة " الولاية الموروثة "(شرف نامه ١٩٦٧ :٣٢٩).

ومع ذلك لم يستطع جميع السلالات الكوردية الحاكمة ان تواصل حكمها طويلا بحيث تتجاوزمرحلة زمنية تصل الى قرن ، ففي نهاية القرن السادس عشر ترك امراء جمشكزك، وحصنكيف، وكليس زمام الامور في امارتهم، وكفت عن الوجود سلالة امراء بابان في النصف الثاني من القرن السابع عشر، الذين كانوا طيلة القرن السادس عشر" ينتقلون من عتبة الى اخرى " دافعين بحياتهم وحريتهم ثمنا لقاء مشاركتهم الاضطرارية في الصراع الدائر بين الامبراطوريتين المتنازعتين .

لقد نسف القرن السادس عشر ، الذي حمل معه أشد مواجهة بين تركيا العثمانية وايران الصفوية، المجرى الطبيعي للتاريخ الكوردي، والحركة من التشتت والانقسام العشائري والاقليمي الى البحث عن الوحدة والمركزية، هذه الحركة التي كأنها قد ظهرت في بداية القرن.

لقد عرقل الصراع الدائر على كوردستان وتقسيم كوردستان بين توركيا وايران عمليات الاتحاد والتماسك الاتنوسياسي للكورد، لكنه لم يستطع وضع حد نهائي لها، فقد تم دفعها الى الداخل كي تنظر ساعتها وتعلن عن نفسها بكل قوة.

ان الضرر الذي لحق بوضع بلاد الكورد السياسي نتيجة تقسيمها قد خلق احد اكثر الحالات المرضية في الوعي الكوردي الاتنو سياسي ، ومن الان وفصاعدا ستقوم عمليات التماسك والتضافر الاتنو سياسي بشق طريقها متخطية مجموعة العقبات اللانهائية وهي تقوم بتفجير الوضع السياسي في هذه المقاطعة من كوردستان تارة وفي مقاطعة اخرى تارة ثانية.

كابدت بلاد الكورد في القرن السادس عشر من امراساس وهو ادارك ضرورة الوحدة ، هذه الوحدة التي عبر عنها شرف خان بدليسي رائد فكرة الوحدة الكوردية وبكل وضوح.



الجزء الثاني

صفحات الحياة أو طريق طويل إلى البيت

١- العش العائلي - بدليس موطن الأجداد والأسلاف

كان شرف خان بدليسي ينحدر من اسرة كوردية عريقة من سلالة حكام بدليس وأمرائها. وفي القرن السادس عشر كانت الإمارة تتألف من أربع مقاطعات هي: بدليس، اخلات، موش، خنوس . فقد كانت مقاطعة موش ووديانها الخصبة تمثل مخزونا غنينا لامارة بدليس، ومن نواحي بدليس الشهيرة مقاطعة خنوس (شرف نامه ١٩٦٧ :٤٠٠) التي كانت غنية بمراعي صيفية خصبة فسيحة الارجاء هي : صو —شهري، بيل غول ، جبل شرف اللين . كتب شرف خان بدليسي عن هذه المراعي يقول : " كانت العشائر الكوردية تنتقل بين هذه المراعي في زمن أباء واجداد كاتب هذه السطور ، وكانوا يحصلون على منافع كبيرة "

كان الارمن يشكلون"عددا هاما" من سكان امارة بدليس وكانوا يسكنون بشكل خاص في وادي موش الخصيب، كما عاش الاتراك — السلاجقة على الضفة الشمالية الغربية لبحيرة وان وفي اخلاط وبدليس، لكن عددهم لم يكن كبيرا مثل الارمن . وكان الكورد تستهويهم الجبال ومناطق الترحال الجبلية، التي كانت كثيرة في الامارة . وكان الكورد يمثلون نسبة عالية جدا من سكان عاصمة الامارة، مدينة بدليس، حيث كان يسمع اللفظ الارمني، والتركي والعربي ايضا. وكان جميع اجهزة السلطات والقوات تتألف من الكورد، والتي نشأت بجهود وقوة الاتحاد العشائري روزكي الذي اصبح حصنا منيعا للامارة.

تشغل بدليس، الواقعة عند مدخل في ممر وحيد سهل العبور من خلال سلسلة جبال الطور الى وديان ميزوبوتاميا ، موقعا جيواستراتيجيا ويتمتع بأهمية استثنائية. ولا ينبغي نسيان انه حتى نهاية القرن الخامس عشر كان طريق الترانزيت لتجارة الحرير يمر عبر دياربكر وبدليس من تبريز والمناطق المطلة على بحر قزوين — المنتجة للحرير الى السوق العالمية في حلب، الامر الذي كان يمثل عاملا في غاية الاهمية لرفاهية المنطقة الاقتصادية.وعقب معركة جالديران فرض سلطان سليم الاول حصارا تجاريا على ايران. فقد تقرر تجميد تجارة الحرير مصدر مداخيل الشاه، وسد طريق الحرير الذي كان يمر عبر دياربكر وبدليس، ومع ذلك لم يطبق الحصار تطبيقا كاملا ولم يسطيعوا سد طريق الحرير الى حلب.

لقد كفل الموقع الجيوستراتيجي لبدليس وحكامها مكانا بارزا في ترتيب القوى السياسية وتوزيعها في المنطقة وجعل حكام ايران وتركيا يولون اهتماما كبيرا بحكام بدليس وموضع اهتماماتهم، وبالنتيجة حظي حكام بدليس باستقلالية كبيرة، وكانوا يتمتعون بوضع مستقل في مراحل عديدة.

خصص شرف خان الجزء الرابع من كتابه " شرف نامه" لمدينة بدليس وامارة بدليس. لقد رأى و. ل. فيلجيفسكي بنظرته الثاقبة في المعلومات الكثيرة عن بدليس الواردة في كتاب "شرف نامه " وبوضوح المركزية البدليسية (شرف نامه ١٩٦٧: ٤٢) وكما اتصور فان جوهر " المركزية البدليسية " الذي شاهده و. ل. فيليجيفسكي واشار اليه لم يتجلى في مدى البعد وحده عن بدليس و الذي حدد تزويد المؤلف بمعلومات كاملة عن الاحداث في مختلف اجزاء كوردستان، فالشيء الأساسي هو ما كانت تعنيه مدينة بدليس لشرف خان بدليسي. فقد ولد مؤلف كتاب " شرف نامه" في ايران بعيدا عن أرض الاجداد وكان يتوق الى بدليس، نحو عشه العائلي مدة ٣٥ عاما* او النصف الاول كله من حياته وهكذا كانت

---

* حسب ما رواه شرف خان بدليسي فانه انطلق من ناخجون في وان ، ومن هناك الى عاصمة الامبراطورية العثمانية وذلك في ٣شوال ٩٨٦ هـ الموافق في ٣ كانون الاول عام ١٥٧٨م (شرف نامه ١٩٦٧: ٤٨٩) وبعد ان احسن السلطان و فادته ومنحه شهادة ادارة بدليس عاد الى " المثوى العظيم للاباء والاجداد" وبما ان مؤلف "شرف نامه" ولد في اليوم العشرين من شهر ذي القعدة ٩٤٩ \ ٢٥ شباط عام ١٥٤٣ ، فان عمره كان يبلغ في ايام الاحداث الموصوفة ٣٥ – ٣٦ عاما حسب التقويم الشمسي ، او ٣٧ عاما حسب التقويم القمري وهذا الرقم يناقض ما يكتبه شرف خان بعد عدة صفحات (المصدر السابق : ٣٩٦) وحسب اقواله فانه" قد انقطع عن الاصدقاء والوطن وارضه وممتلكاته حوالي٤٤ عاما ووجد نفسه في بلاد القزلباش" . ومع ذلك فان هذا الفارق في الارقام له ما يفسره وما اشار اليه شرف خان بدليسي الى الرقم ٤٤ فانه قد ضم اليه السنوات اللاحقة بعد رحيلة عام ١٥٧٨ والتي كان صاحب شرف نامه قد قضاها في ساحات المعارك الايرانية –التركية ، التي كان قد شارك فيها إلى جانب السلطان العثماني" ولم يفارق الجيش المنتصر" وكانت المعارك قد جرت على اراضي شيروان وجورجيا ، وأذربيجان في مكان بعيد عن بدليس.

مشيئة القدر، بيد ان شرف خان بدليسي كان بافكاره وقلبه يتوق إلى ذلك المكان، الذي يذكره بأرض الاجداد العظام واعمالهم وشهرتهم.

كانت بدليس طيلة هذه السنوات يشده نحوها وبقوة وتستغيثه. وليس عبثا ان سفره الى بدليس قد وجد فيه صاحب " شرف نامة " بمثابة عودةالى الدار والاصول (انظر : شرف نامة : ١٩٦٧ : ٤٨٩) ولا يدعو للغرابة ان شرف خان بدليسي لما عاد الى عشه العائلي واسترد الموطن المفقود للاجداد، امست بدليس فردوسه على الارض،فكل ما فيها هو رائع"لم ير العالم له مثيلا،وحتى لم يسمع به اذن الزمن كي يتحدثان عن مثل هذا الجمال (المصدر السابق : ٣٨٩) لقد كانت في ارض بدليس ومائها وهوائها قوة حية ونعيماً، وبالتالي فأن كل من ولد في بد ليس و ترعرع فيها وعاش على ارضها كان يمثل في نظر شرف خانى بدليسي مكان الموهوبين والعلماء والحكمة و الكمال ويترفعون على كل صنف من صنوف المديح. وعلى هذا النحو كان جوهر "المركزية البدليسية" يتكون، حسب ما يراه شرف خان بدليسي في ان جذوره وقلبه وبداياته كانت في بدليس.فقد صار النصف الاول كله من حياته تهيئة ومقدمة للعودة الى داره وموطنه، حيث يحقق فيها حلم الحياة ويكتب " شرف نامه " تاريخ شعبه. ولهذا اطلق لقب بدليس على شرف خان، الذي لم يكن قد ولد في بدليس فقد كان شرف خان يعد نفسه بدليسيا لاعتبارات كثيرة.

٢- الأصل والعشيرة:

نستنتج من قراءة نص " شرف نامة " ان اسرة امراء بدليس قد بلغت مجدها السياسي في نهاية القرن الثامن، وفي اثناء وضع الكتاب في عام ١٥٩٦ -١٥٩٧م كان عمر السلالة الروزكية، حسب اقوال شرف خان بدليسي، يصل الى ٧٦٠عاماً (شرف خان ١٩٦٧ : ٤٠٧)، ان تناولنا العرض الذي قدمه شرف خان بدليسي لتاريخ عشيرة روزكي التي تقف عند مهد الاسرة الحاكمة فان زمن بلوغ الرفعة يجب تعديله بعض الشيء وتقديمه مدة قرنين او ثلاثة قرون في اقل تقدير.

وكما يروي شرف خان بدليسي فان عشيرة روزكي قد تشكلت كاتحاد عسكري – استراتيجي، وكائتلاف للعشائر الكوردية وبقاياها للسيطرة على بدليس ومقاطعة بدليس واحتلالهما. وفي تلك العهود كان يحكم بدليس تاويت من حكام جورجيا " (المصدر السابق : ٤٠٣). وقد شبهه مينورسكي ف.ف. بالامير الجيورجي داود كورد بالوت، الذي مات عام ١٠٠١ م (مينو رسكي ١٩١٥ : ٨).

واذا ما اخذنا بهذه الرواية فانه ينبغي ارجاع سيطرة افراد عشيرة روزكي الى النصف الثاني من القرن العاشر، وبالتالي فان اعتلاء الدار الاميرية (وبجهود افراد هذه العشيرة) التي كان شرف خان بدليسي ينتمي اليها يعود الى اوائل القرن الحادي عشر، وليس الى القرن الثامن.

جرت عملية الاستيلاء على بدليس ومناطقها بصورة سريعة، فقد اجتمعت عشائر الكورد والحلية منها جزئياً (" العشائر القديمة في ولاية بدليس ") والقاد مة من مكان ما ايضا، وقامت " خلال يوم واحد " بتقسيم الاقليم في ما بينها أي اتفقت على ما ستكون ملكية كل واحدة منها.وقامت في الحال بانتخاب زعيم او رئيس أعلى للاتحاد العشائري المنتخب، وجرى الاجتماع " التأسيسي"في منطقة موتكي التي كانت تقطنهاعشيرة تحمل التسمية ذاتها،وقد دخلت هذه العشيرة في عداد " العشائر القديمة.في ولاية بدليس "، التي شكلت جزءاً من الاتحاد العشائري وشرعوا في الاستيلاء دون تاجيل، وقد كان تكتيك الاحتلال على جانب كبير من الاعداد والتخطيط بحيث ان المخططات سرعان ما تجسدت في الواقع وثبت افراد عشيرة روزكي اقدامهم في بدليس. وراح الحلف العسكري _الا ستراتيجي يتحول الى ائتلاف عشائري، ففي بادئ الامر تحالفوا معا ضد كل من كان يسيطر على ولاية بدليس ثم ضد الراغبين في استردادها. كان عدد الطامعين فيها كبيرا جدا، فقد كان هذا الاقليم يستأثر باهتمام الاخرين لخصوبة اراضيه وموقعه الجيوستراتيجي، ومع ذلك سرعان ما بدأت الفرقة والخصام، وراح كل من كان من افراد روزكي يقف الواحد ضد الاخر ولم يخضع احد لاحد (شرف نامه ١٩٦٧ : ٤٠٤).

مات من كان زعيما للروزكيين ولم يترك من بعده وريثا، زد على ذلك ان الحاكم الاعلى السابق، كان ينتمي،دون شك، الى احدى عشائر الاتحاد، بينما كانت اجهزة السلطة في هذه الحالة من اكثر الاجهزة " قدرة على العمل " والتي كانت بعيدة بنفس المسافة عن جميع العشائر ولم تكن على صلة قرابة مع أي عشيرة.وشرع زعماء عشائر روزكي في بناء الدار الحاكمة، التي من شأنها تلبية هذه المطالب.

وفي عهد ظهور شرف خان بدليسي فان شجرة الاسرة الباسقة قد تعالت في السماء، وهي تملك في اساسها واحدا من الشقيقين من انجال سلالة الصفوة الملكية، اللذين كما تقول الاسطورة جرى دعوتهما من افراد عشيرة الروزكي لحكم بدليس وحزو.وكان على دعوة الاخوين وموافقتهما في استلام مقاليد السلطة إحاطه اسم دار الحكام ببريق جليل للاسم الساساني. وقد تم وصف ذلك كله باسهاب في " شرف نامه " (المصدر السابق ١٩٦٧ ٤٠٤، ٤٠٧، ٤٠٨).

ومهما كانت حقيقة قصة الاخوين ودعوتهما وحقيقة وجودهما بالذات وصلة قرابتهما مع الساسانيين فان ما يعنينا في هذا الشان هو امر واحد.لقد شيدت عشيرة روزكي الدار الحاكمة ورعت الاسرة التي تسلمت مقاليد السلطة في بدليس واولت الاهتمام باسمها الملكي. وان واقعية الاحداث المصورة ليست على جانب كبير من الاهمية لاجل خلق الاسطورة.وبعد ان ظهرت هذه الاسطورة فانها " عملت " لصالح صورة الدار، وساعدت على توطيد اسم الاسرة.

ويثير لدينا ما ذكر انفا شكوكا في صحة الاراء الواردة في المصادر حول ان شرف خان بدليسي صاحب " شرف نامَه " ينتمي الى عشيرة روزكي،وعشيرة روزكي التي جرى الحديث عنهافي السفر التاريخي،ظلت اتحادا عشائريا،لا بل ائتلافا عشائريا.والروزكية كعشيرة قامت بتوحيد بقايا ائتلاف عشائري ذات يوم، قد ظهرت مؤخرا بعد قرن ونصف او قرنين من الزمن. والعشيرة التي كانت تحمل اسما كورديا روزكي ستقطن في منتصف القرن التاسع عشر في ضواحي بدليس وفي منطقة روشكان الى الغرب من بحيرة وان والى الجنوب من صاصون وحتى اعالي نهر موراد – جاي.

كانت عشيرة روزكي سندا للدار الاميرية، التي كان شرف خان بدليسي ينتمي اليها. وفي نهاية القرن السادس عشر كانت هذه العشيرة في اثناء كتابة " شرف نامه " تتالف من اتحاد وتحالف ٢٥ عشيرة. وكانت خمس اتحادات عشائرية او " القبائل القديمة في ولاية بدليس "وهي كيساني، بايكي، مودكي، ذوقيسي، زيداني، عشائر منفردة، اما العشائر الباقية وعددها ٢٠ عشيرة فقد شكلت جناحان في كل واحدة منها ١٠ عشائر، وهما : بلباسي وقواليسي واللتين شكلتا مع فروعهما العشائرية الجمهور الاساسي للاتحاد العشائري روزكي.

وقد دخلت عشائر باليكي، كله جيري، خربيلي، خيارطي، كوري،بريشي، سكري، كارسي، بيدوري بلاكردي الفرع الذي كان يسمى بلباسي.وشكلت عشائر زردوزي، انداكي، برتافي، قواليسي، كوردكي، استوركي، عزيزان، خاليدي، كاشاغي، سهرودي وحدة سميت قواليسي. ويبدو ان نظام الفرعين والوحدات العشائرية التي كما لو انها تقف جانبا عنها وحتى النسبة العددية قد خلقت فرصا مثلى للتاثير على الحياة العشائرية وتنظيمها والتغلب على النزعات الانفصالية.

وتجلى الصراع بين وحدتين بارزتين لعشيرة روزكي وهما بلباسي وقواليسي بوضوح للغاية، هو عندما كان تظهر امكانية التاثير على التغيرات النظامية في اجهزة السلطة في الامارة، وكان كلا الجناحين في عشيرة روزكي يسعيان الى القيام بمهمتهما في حل مسالة وراثة العرش.

وفي هذا الصدد نشير الى الوضع الذي نشأ في بدليس عقب موت الامير شاه محمد عام ٩٠٣هـ\١٤٩٧ -١٤٩٨م كمثال على ذلك واصبح حاكم امارة بدليس الامير ابراهيم ابن الامير شاه محمد وانتقلت " ادارة الاعمال المهمة " الى النخبة العشائرية للقواليسي (شرف نامه ١٩٦٧: ٤٣٩، ٤٤٠) وعبر زعماء عشائر بلباسي عن استيائهم . واتخذ زعيم بلباسي الشيخ امير البلباسي قرارا ترك تاثيرا جوهريا للغاية على مصير الامير شرف جد صاحب " شرف نامه " فقد قدم

الشيخ امير بلباسي وعشيرته* خلافا لعشيرة بلباسي الى موش " لخدمة " الامير شرف، حيث كان وكيلا اميريا. وقد تم تنصيب الامير شرف على عرش بدليس وبفعالية وذلك نتيجة مساعيهم، وقد ترك اجراء تنصيب الامير الجديد انطباعا، والذي تم فور وصوله الى بدليس.

وقد قام الشيخ امير بلباسي بجر الامير ابراهيم بيده واقصائه عن العرش، ومن ثم نصب في مكانه الامير شرف وهو يعبر عن امله في ان " يشغل كل واحد من اليوم فصاعدا مكانه المناسب " (المصدر السابق ٤٤٠، ٤٤٤).

ولم تصادف مثل هذه الحالة دائما، فغالبا ما كانت عشيرة روزكي تدافع بما لديها من فروع دار الامارة وهي تبدو كحامية لموطن الاسرة. فقد كان دار أمراء بدليس وعشيرة روزكي يفتقدان القوة والجبروت دون بعضها بعضا. و ما ان تفقد ا لدار السلطة الى حين حتى ينغمس الاتحاد العشائري في حالة من الفوضى والاضطراب ، ولهذا كانت اسرة الامراء هي التي تقوم بالوصاية كضمان لاستقرار العشيرة. كان لاسم الدار الاميرية جاذبية مغناطيسية لدى عشيرة روزكي، إذ كان بوسعها وحدها تجنيد العشيرة كلها لخوض النضال ولإعادة وحدتها. لقد اكتسبت عشيرة روزكي قوة جديدة وكانت مندفعة للقتال، وذلك في سبيل الدار وتثبيتها على عرش بدليس حتى وان كانت في حاله من التشتت الكامل، وكان ذلك واضحا من مثال جد مؤلف " شرف نامه "، ذلك ان كبرياء العشيرة وطموحها وفي اعادة سلطة الدار الاميرية احيانا ما كان يسبق استعداد الاسرة الحاكمة نفسها، وكانت العشيرة هي التي تقوم بالمبادرة دائما.

ويمكن ان نشاهد في " شرف نامه " امثلة واضحة على كيفية قيام عشيرة روزكي باعادة وضع دار امراء بدليس، التي كانت على ما يظهر في اوقات

---

* يطلق شرف خان بدليسي اسم العشيرة على جميع الاتحاد العشائري للروزكيين، وعلى كل وحدة من وحداته وكل وحدة من هذه الوحدات .

محكومة بالموت السياسي** وقد نشأ مثل هذا الوضع عندما ظلت ولاية بدليس في القرن الخامس عشر وخلال ٢٩عاما تحت حكم وكلاء سلاطين آق قونيلو.

مرت دارالامارة وعشيرة روزكي في أحلك الظروف أكثر من مرة: ففي بدليس كان وكلاء الآق قوينلو(الخراف البيض) هم الذين يسيطرون على مقاليد السلطة، ولجأ ممثلوا اسرة الامراء كل الى مكان استطاع اليه سبيلا.

وحملت عشيرة روزكي على عاتقها اعادة بناء الدار الاميرية واعادة بنائها لبنة لبنة. وقام المتحمسون من عشيرة روزكي بجلب أنجال وأحفاد الأسرة الأميرية واحدا تلو الأخر بما فيهم الأطفال الصغار جدا واحيانا دون موافقة امهاتهم . فقد كانوا يتوسلون اليهم ويقنعونهم بالعودة ويستشهدون باقوال الله التي سمعوها في النوم.

كان اسم دار الأمراء بمثابة راية، وكان افراد عشيرة روزكي يندفعون الى القتال ثانية ويقتلون في المعارك، كما كان يموت فيها ممثلو اسرة الامارة، مثلما قتل في احد المعارك جد شرف خان بدليسي، الذي دعاه الروزكيون الى بدليس وجاؤوا به الى هناك، وفي نهاية المطاف تم اعادة سلطة بيت الامراء في نهاية التسعينات من القرن الخامس عشر وذلك ثمنا لما بذلته عشيرة روزكي من جهود كبيرة في هذا الشأن.

وفي القرن السادس عشر لم يلتئم بعد جراح عشيرة روزكي و دار الامارة في بدليس من الحروب مع سلاطين اق قوينلو حتى راحت الضربات تنهال عليها، والتي لم تكن اقل قوة من سابقاتها ، وذلك عندما وجدتا نفسيهما في مركز الصراع الايراني- التركي ، فقد اشتبكت الإمبراطوريتان — الكبيرتان في حرب ضروس : الامبراطورية العثمانية التي بلغت اوج قوتها وجبروتها ،

** حسب ما رواه شرف خان بدليسي (شرف نامه ١٩٦٧:٤٠٥) لوحظ مثل هذا الوضع أكثر من مرة: " لقد شاع بين الناس انه لا يمكن العثور على عدد من الحجارة الموضوعة في بنيان أسوار قلعة بدليس، ما يعادل عدد المرات التي بقيت فيها عشيرة روزكي دون حاكم".

والامبراطورية الصفوية التي كانت وليدة اخطر اتحاد بين فكرة التصوف الاسلامي والتضامن العشائري. ووجدت جميع الاراضي الكوردية نفسها منخرطة في حرب قامت بتقسيم العالم الكوردي الى قسمين.

واضطر الحكام الكورد والعشائر الكوردية من حين إلى أخر على الانتقال من جانب الى اخر وهم يغيرون في اثناء ذلك توجههم السياسي ١٨٠ درجة، وذلك نتيجة الضغط الشديد والمتواصل، الذي كانت تمارسه الامبراطوريتان، وقد كانت كل من تركيا وايران تقومان باثارة هذه التقلبات في المواقف وتقومان باستقبال الفارين وبسرور. وقد فرضت الاهمية الاستثنائية للموقع الاستراتيجي الذي كانت تشغلة امارة بدليس على السلاطين العثمانيين والشاهات الصفويين بمراقبة الوضع في الإمارة عن كثب، وإيلاء عناية خاصة بأمراء بدليس، وهذا ما نراه لاحقا على مثال السيرة الحياتية لشرف خان بدليسي وسيرة ابيه وجده.

ويسمح تاريخ عشيرة روزكي التي جرى الحديث عنها في شرف نامه باسهاب شديد بتناول ظاهرة من ظواهر حياة الكورد الاجتماعية مثل ظاهرة التضامن العشائري. لقد خلقت عشيرة روزكي ما قامت به من معجزات التفاني بالذات والاخلاص ايديولوجية التضامن العشائري، ومع ان عشيرة روزكي لم يكن لها تشيكلا نشوئيا ، لكنها كانت مع ذلك متراصة ومشدودة باواصر الدم، ذلك الدم المراق في ساحات القتال وفي سبيل المصالح العامة وقوة العشيرة وشرفها ، وفي سبيل البيت الحاكم. ويتيح لنا قراءة تاريخ عشيرة روزكي ان نرى ان فكرة الوحدة العشائرية والتضامن العشائري هي التي كانت مهيمنة، وليست فكرة القرابة الفعلية او الخيالية، والشئ الاساسي هو الوحدة لاجل الاتحاد، والاتحاد لاجل والوحدة.

لقد عرض تاريخ دار امراء بدليس ، التي كان صاحب " شرف نامه" ينتمي اليه خلف خط تقسيم حكام كوردستان إلى "عظماء " و " اخرين" وكان صاحب " شرف نامه " يتصور ان البيت الحاكم في بدليس كان يترفع عن

البقية وبجلاء. وسلالة حكام بدليس تعد احدى اقدم السلالات، بينما قدم توظيف اللقب في هذا الوضع القائم، وواقعة الحكم قرونا في البيئة الكوردية هي بحد ذاتها يعدان شهادة على مشروعية السلطة وراهنيتها. كانت سمعة الامير البدليسي رفيعة للغاية ، و كبرهان على ذلك نحيل القارئ إلى ما قاله شرف الدين علي اليزدي صاحب سفر ظفر نامه الذي افرد لانتصارات الأمير تيمور. ويصف فيه حاكم بدليس حاجي شرف بأنه كان ارفع انسان مقاما في كوردستان كلها واجلهم شأنا.

لم يفقد دار أمراء كوردستان هيبته حتى في تلك المراحل التي فقد فيها سلطته الى حين.ففي عهد اوزون حسن اق قوينلو (٨٥٧-٨٨٢هـ(١٤٥٣-١٤٧٨م) كانت بدليس تقع في ايدي وكلاء سلاطين الخراف البيض ، الا ان امير محمد شاه زعيم بيت الامارة بقى حاكما شرعيا لعشيرة روزكي. وقد دل شرف خان الى هذه الواقعة على النحو التالي مستذكرا وصوله " لقد حظيت بدليس بشرف وصوله الميمون " (شرف نامه ١٩٦٧ : ٤٣٦). ان الوصف المستخدم ينطبق حصرا على شخصية الحاكم واعماله.

وكان الأمير شرف (١٤٨٠م – ١٥٣٣ م\ ١٥٣٤ م) جد شرف خان البدليسي يسلك سلوك الحكام الأقوياء. فقد حل عليه ضيفا لحضور عرس ولده كلا من حكام هكاري،و بوهتان،و حصنكيف، وغيرهم من أمراء كوردستان الإجلاء، وبعد الانتهاء من الاحتفال كان الامير شرف يقوم بتقديم الهدايا الى ضيوفه الكبار ويأذن لهم بالسفر. وكما يتصور لنا فان ما كان يقوم به الامير شرف ازاء ضيوفه لايوجد الا في طريقة التعامل مع الشخصيات التي يجري تتويجها.كما ان الامير شرف حاكم بدليس مرارا ما كان يقوم بدور الوسيط وفرض القانون عند حل النزاعات بين الكورد ويسترد الاقاليم المسلوبة حتى ولو كان القائم بذلك امير بوتان نفسه الذي سلب منطقة سرت من مالك منطقة حصنكيف. كما ان الرغبة كانت تحدو امير شرف مرارا في انزال القصاص بالعشائر " التى

ترتكب خيانة او تنكر الجميل " (شرف نامه ١٩٦٧ : ٤٧١، ٤٧٢) ، ويدل كل ذلك الى الوضع الخاص والبارز لامراء بدليس في القرن الخا مس عشر واوائل القرن السادس عشر.

لقد اعلن اجداد شرف خان بدليسي ثلاث مرات في الاقل عن وضعهم القانوني المستقل، وان مؤلف " شرف نامه " قد شاهد بأم عينه القطع النقدية باسم حكام بدليس* : محمد بن شرف، شرف بن محمد، شمس الدين بن زين الدين (المصدر السابق، ٤٢٢)** وراح هذا الاخير يسك عملتة النقدية والتذكير باسمه في خطبة الجمعة في القرن الخامس عشر في " اثناء الفتنة التى اثارها التركمان "

كانت القطع النقدية " الشمسديني " المسكوكة في اثناء حكم الامير شمس الدين محل اعتزاز كبير لدى شرف خان، فقد كانت هذه القطع النقدية في عهد مؤلف " شرف خان معروفة في مدن كوردستان وكانت الاسر النبيلة تحتفظ بها " كرمز لسعادة بلاد الكورد باسرها "،وقد اكتسبت جاذبية الرمز وقوة الطلسم.

وحسب ما يراه كاتب هذه السطور فان العملة النقدية " شمسديني " التي وردت ذكرها في كتاب شرف خان قد قام الامير شرف الدين ابن امير حاجي شرف بسكها، هذا الامير، الذي كان معاصرا لقره يوسف قره قوينلو ومحبوبا لديه

---

* ان سك القطع النقدية وذكر اسم الحاكم في خطبة الجمعة كان يعني تقليديا الرغبة في وضع مستقل .

** ان مجموعة القطع النقدية وعددها ١٧ والمسكوكة في اوقات مختلفة باسم الحكام الكورد في بدليس هي موجودة في متاحف العالم . وقد وضعت العاملة في متحف الارميتاج الحكومي م . ب سفيروفا فهرسا لهذه القطع النقدية مع وصف مفصل لها (انظر م . ب سفيروفا حول القطع النقدية لحكام بدليس الكورد نهاية القرن الرابع عشر –السادس عشر مجموعة نوميزامات ١٩٩٨) و القطع المصورة على الصفحة التالية هي رسومات تضم تصويرا للقطع النقدية لحكام بدليس و على أساس ما جاء في مقال م.ب. سيفيروفا.

(١٣٨٩ – ١٤٠٠م، ١٤٠٦ – ١٤٢٠م) الا ان سمى نفسه على القطع النقدية بشمس الدين بن ضياء الدين، وابنا للجد الاول لدارامراء بدليس.

كان جميع امراء بدليس من ابناء بيت ضياء الدين حفيد الساسانيين، وان الدعاوى المنقوشة على القطع النقدية للامير شمس الدين في وضع مستقل قد جرت صياغتها على نحو مؤثر جدا، فقد كان اسم ضياء الدين الجد الاسطوري للبيت يعيد إلى الأذهان الساسانيين الأمجاد*. وعندما سمى الامير شمس الدين نفسه ابنا لضياء الدين فقد اضفى اشراقة جلية لسلالة عظيمة عليه. ومما لاشك فيه ان الامير شمس الدين بن حاجي شرف ، الذي يجري الحديث عنه، كان ينتمي إلى حكام كوردستان البارزين . انه كان يتصف بالعظمة والجبروت، وكان الناس جميعا يسموه بالرجل العظيم (الكبير) والوالي، وكان من الممكن فقط مقارنة جد شرف خان بدليسي الامير شرف معه.

ويشهد صاحب " شرف نامه " ذاته على إن التذكير بدعاوى القرابة مع الساسانيين كان يدوي عاليا بعض الشيء، ففي نهاية مخطوط - بودل يسمى المؤلف نفسه شرف بن شمس الدين الاكاسري ، او شرف بن شمس الدين من سلالة الساسانيين، وهنا لا بد لنا من ان نستشهد بما قاله المؤلف " شرف نامه " عندما يعبر فيها عن فخره واعتزازه ببيته وعشيرته." لو ظهرت الرغبة لدى الحكام الاقوياء الرغبة في اخضاع كوردستان، فان ما لا شك فيه انه سيكون لهم شأن مع حكان بدليس ومع عشيرة روزكي " (شرف نامه ١٩٦٧ : ٤٠٥).

٣- الجد الكبير لحفيد شهير:

لم يتسن للامير شرف جد مؤلف " شرف نامه " رؤية حفيده. فقد قتل في احد المعارك ٩٤٠ هـ \ ١٥٣٣\\ ١٥٣٤ م وهو يبلغ من العمر ما يقارب ٥٠ عاما أي قبل عشر سنوات من ولادة حفيده. لكن لم يكن عبثا ان الحفيد حمل اسم جده، وكانت أشياء كثيرة تجمع في ما بينهما، فقد كان الاثنان يتشابهان في طباعهما وفي

بعض ما آل إليه الاثنان من مصير، وما يثير الدهشة والإعجاب في كيليهما هو شمولية الشخصية والارادة والطموح إلى العلى والانتصار، والعقل النير وبالطبع الشجاعة وموهبة القيادة. لقد ولد الاثنان خارج حدود العش العائلي وفي سنوات معاناة صعبة مرت بها امارة بدليس ودار امراء بدليس.

ولد الامير شرف ابن الامير شمس الدين حوالي عام ١٤٨٠م في آروخ (ايروخ) في مقاطعة بوهتان(بختان)، وسبقت ولادته احداثا مآساوية عانت منها اسرة الامارة وعشيرة روزكي . فقد حل زمن دفع الثمن فيه عن علاقات " الاب — الابن " مع قره قوينلو وذلك بعد رحيل سلاطين قره قوينلو من المسرح السياسي، الذين كانوا اصدقاء لحكام بدليس وحلفاء لهم.وقد جرى ازاحتهم عن مقاليد السلطة من جانب سلالة اق قوينلو (شرف نامه ١٩٦٧ : ٤٢٨).ووجد امراء بدليس انفسهم تحت ضربات سلاطين اق قوينلو ، الذين كانوا اول من قام بتاييد منافسيهم، واستسلمت قلعة بدليس بعد فرض حصار عليها دام ثلاث سنوات واستولى وكلاء اق قوينلو على الاراضي العائدة لامراء بدليس.

وفي اثناء حصار قلعة بدليس تمكن الامير شمس الدين شقيق الامير ابراهيم الذي كان يحكم انذاك، والجد القادم لمؤلف " شرف نامه " من الفرار من القلعة المحاصرة، واختفى عن الانظار بين افراد عشيرة بوختي في اروخ المجاورة، وهناك تزوج من كريمة الامير محمد اروخي وبعد عقدين من الزمن سيقوم ابنهما شرف بك (الامير شرف) بزعامة بيت امراء بدليس وعشيرة روزكي ويصبح قائدا كورديا بارزا وسلف مؤلف اول سفر تاريخي عن كوردستان.

لقد استدعت عشيرة روزكي الامير شمس الدين والد الامير شرف شأنه في ذلك شأن الانجال الاخرين للدار الاميرية الى بدليس في عهود سيطرة آق قوينلو وسرعان ما قتل في احدى المعارك مع التركمان. وفي العام التالي ٩٠٠هـ \ ١٤٩٤ -١٤٩٥م جاءت عشيرة روزكي بالامير الشاب الشاه محمد الى بدليس، وتم اقتحام قلعة بدليس،الذي

تكلل بالنجاح، وقاموا بطرد وكيل السلاطين اق قوينلو، بينما جرى تنصيب الامير شاه محمد على عرش المقاطعة الموروثة وذلك وفق اعراف الاباء والاجداد العظماء وتقاليدهم (المصدر السابق ٤٣٦ -٤٣٩).وبعد مضي ثلاث سنوات واثر وفاة الامير شاه محمد تم تنصيب ابنه الامير ابراهيم حاكما على بدليس، اما الحكام الفعليون " الذين كان زمام السلطة بايديهم، فقد اصبحوا زعماء العشائرمن جناح القواليسي لعشيرة روزكي، الذين تزعمهم عبد الرحمن اغا قواليسي.

شعرالفرع البلباسي لعشيرة روزكي بالانتقاص من حقوقه فقرر وضع ممثل اخر لدار الامارة على سدة الحكم في بدليس " خلافا لعبد الرحمن اغا وعشيرة قواليسي، ووقع الاختيار على الجد القادم لمؤلف "شرف نامه "، الذي، كما ذكر انفا، كان في هذه الاثناء في مقاطعة موش وليس في بوهتان.وقد قدم الزعيم الاعلى للبلباسيين الشيخ الامير البلباسي الى موش شخصيا وبصحبته " عشيرته كلها " ومن ثم بعد وصوله الى بدليس جرى تنصيب الامير الجديد، وهو الامير شرف، وقد ترك اجراء التنصيب انطباعا قويا لدى الناس.

انما ما أبداه رئيس عشيرة البلباسي من اندفاع شديد في تاييده للامير شرف، ودفعه بحياته بعد مضي عشر سنوات في معركة القزلباش في سبيله ايضا، يجعلنا ان نصب الاهتمام على بعض الجوانب وان نتساءل ما اذا كان وراء ذلك شيئا ما اكثر من الرغبة في وضع الامير السابق " في مكانه " وازاحة زعماء قواليسي جانبا .وفي الباب التالي من الكتاب عندما يجرى الحديث عن قتل شيخ امير بلباسي وابنه في القتال مع القزلباش، يذكر المؤلف " شرف نامه " بانه تم حرق جثتيهما في ساحة بدليس و ان الاعداء كانوا يسمون الشيخ امير قره ايزيديا، أو الايزيدي الأسود (شرف نامه ١٩٦٧ : ٤٥٣) هكذا باختصار شديد وتذكير قصير لا اكثر. و المعلومات القليلة جدا التي ظهرت بصورة مفاجئة تدفعناالى الافتراض بان البلباسيين (ولوجزءا منهم)كانوا يعتنقون الديانة الايزيدية، ويتبادر مثل هذا الاستنتاج الى الذهن عند قراءة الاسفار الاردلانية، فقد وصف المؤرخون الاردلانيون

وبالاجماع البلباسيين بالوثنيين،و كان خسرو بن محمد (خسروف بن محمد ١٩٨٤ : ١٥٥، ١٦٠) اكثرهم تحمسا في هذا الشأن، وعادة ما كانت الديانة الايزيدية تثير مثل هذه الموقف المتعصب لدى كتاب الاسفار الاردلانية.

يبدو ان زعيم فرع من عشيرة روزكي كان يعتنق الديانة الايزيدية،لان اسمه كان يحمل لقب " الشيخ " الذي يعد ارفع تراتبية ايزيدية روحية، الى جانب لقب " الامير " الذي يجسد الزعامة السياسية، كما كان الابن الاكبر لزعيم البلباسين، الذي يصبح " لاله " لمؤلف " شرف نامه " وسيكون وكيلا عنده، يحمل " الاسم – و اللقب " ذاته، ويحمل اسماء بقية ابناء الشيخ الامير البلباسي (ابراهيم بك، و قاسم اغا) ألقاباً نخبوية تقليدية مثل " البك " و " الاغا ".

يجوز القول ان جد صاحب " شرف نامه " قد وقع تحت تأثير قوي للايزيدية وان تكون له علاقة شخصية بالديانة الايزيدية طالما ان والدته كانت كوردية بهدينانية، اما مواقع الديانة الايزيدية في امارة بهدينان كانت جلية بصورة كافية.لقدكان جزءا من عشيرة بوهتي يعتنق الايزيدية في ايام شرف خان بدليسي ايضا(شرف نامه ١٩٦٧:٨٣) ،وعندما يعيد مؤلف "شرف نامه" الى الاذهان انه تم تجاوز تلك" الهرطقة" في بوهتان،فان الكلام يدور هنا على الارجح عن أسرة الحكام وليس عن معظم البوهتانيين ككل. وربما يجري تفسيرالسبب الذي دفع بالشيخ امير البلباسي وبالفرع البلباسي من عشيرة روزكي الى الذود عن حق الامير شرف في عرش بدليس في هذه الظروف، كما نشير الى وجود تقليد شفوي لم يجر التصريح به جهارا بعد وهو ان جد شرف خان بدليسي كان ايزيديا. في نهاية القرن الخامس عشر جرى اول تسلم لمقاليد السلطة في بدليس من جانب الاميرشرف، وهذا ما نستنتجه من نص "شرف نامه"،ولم تكن مرحلة الحكم هذه طويلة،لكن الامير الشاب كان واثقا من نفسه ويطمح الى هدفه بكل قوة.وفي حوالي عام ٩١٠هـ/١٥٠٥ م عندما قدم الامير شرف* واحد عشر اميرا اخر** من حكام كوردستان الى خوي لتقديم فروض

---

* تم تحديد التاريخ بناءً على معطيات "شرف نامه".

الطاعة والولاء للشاه إسماعيل الصفوي، وجرى اعتقالهم جميعا بامر من الشاه وزجهم في غياهب السجون.وقام الشاه شخصيا باستجواب امراء الكورد، وسألهم من الذي يتزعمكم جميعا؟ فأجابوا بصوت واحد :الأمير شرف حاكم بدليس والملك خليل حاكم حصنكيف هما يتزعماننا، وقد أسفر ذلك عن بقاء الشخصين المذكورين في السجن وإخلاء سبيل البقية. لقد دفع الأمير شرف خمس سنوات في السجن على الاقل ثمنا لطموحه السياسي الرفيع.

قامت عشيرة روزكي في غياب الامير شرف بالدفاع عن قلعة بدليس مدة عامين ونصف ، فقد قامت العشيرة مع الامير ابراهيم بالدفاع عنها لمدة عامين، ومن ثم بعد فراره واصلت قوات الاتحاد العشائري بالدفاع عنها نصف سنة اخرى بقواها الخاصة. وفي ٩١٣ هـ/ ١٥٠٧ – ١٥٠٨م سلمت عشيرة روزكي القلعة الى القزلباش بعد ان اصابتها القنوط واليأس من عودة الامير شرف (شرف نامه ١٩٦٧ : ٤٤٦، ٤٥١).

تم فرار الأمير شرف من السجن بمساعدة عشيرة روزكي ، التي نفذته بجرأة واقدام، بحيث اثار اعجاب حتى اولئك الذين كانواقائمين على حراسته. كان اول أمرئ توجه الهاربون اليه هو الشيخ امير بلباسي الذي اختفى في هكاري بعد الاحداث الموصوفة . وعندما شاهد الفرسان، الذين كانوا يرافقون الأمير شرف، الشيخ الأمير وفي يده مسحاة يشتغل بزراعة الجاروس " الهرطمان "، واعقب ذلك مشهد مؤثر للقاء. وخر الشيخ الامير ساجدا وترك المسحاة جانبا وبادر الى مولاه ففاز بتقبيل اعتابه، ومسح عيونه بغبار اقدامه ".

انطلق الشيخ أمير بلباسي بعزيمة قوية الى بدليس ، التي كانت تحت سيطرة القزلباش، لبث الدعوة فيها بين عشيرة روزكي ولقاء الامير شرف والتوجه الى قلعة بدليس لاحتلالها. وزحف بجيش قوامه الفا شخص من الروزكيين على القلعة وقام بحصارها، لكن الوكيل القزلباشي حاول صد زحفه وفرض عليه

** حسب معلومات أخرى كان عددهم احد عشر مع الأمير شرف.

المعركة مستغلا عامل المباغتة.وتأهب الشيخ الامير مع ابنه لخوض غمار الحرب واندلعت المعركة بين الطرفين ،التي اسفرت عن هزيمة الروزكيين ، وقد قتل الشيخ امير مع ابنه في تلك المعركة، وقد كان الشيخ من اكثر انصار الامير شرف اخلاصا ووفاء. لم يتيسر للامير شرف احتلال ولاية بدليس. وراح يعزز مواقعه و اول عمل قام به هو عقد تحالف الاخوة (عهد الاخوة) مع امير الجزيرة الشيخ علي بك، الذي كان ايضا في غياهب السجن عند الشاه اسماعيل، وفقد السلطة الوراثية لبعض الوقت، وبعد ذلك اعلن الامير شرف عن فروض الطاعة والولاء للسلطان العثماني عن طريق حكيم ادريس وزير سليم الاول، وكان السلطان قد كلفه بمهمة جمع الوحدات الكوردية المسلحة واستخدامها في المعركة الحاسمة المرتقبة مع جيش الصفويين الذين كانوا يستعدون للقتال. من الطبيعي ان تكون القوى العسكرية للاتحاد العشائري الروزكي موضع طلب ، ففي اب عام ١٥١٤م اظهرت عشيرة روزكي، في وادي جالديران وفي المعركة مع الشاه اسماعيل، حسب شهادة مؤلف " شرف نامه " آيات البطولة والشجاعة ، اما الامير شرف " فقد حضر وبعض حكام كوردستان هذه السفرة في ركابة القرين بالنصر والظفر " وكان على عشيرة روزكي ان تشارك في المعركة التالية ايضا مشاركة نشيطة للغاية هذه المعركة التي اندلعت بين الطرفين عام ١٥١٥ م.

وفي موقع يسمى قوج حصار. كتب شرف خان بدليسي يقول : " عندما التقى جيشا الفريقين الجرارين، والتقت القوتان اللتين كانتا تعيدان الى الاذهان بحرين متلاطمين بالامواج، كانت اولى جماعة بادرت الى اشعال نيران الحرب واقتحام الصفوف من عشيرة روزكي ". ويبدو انه في نفس العام ١٥١٥م تم تنصيب الامير شرف في بدليس للمرة الثانية، كي لايترك هذه المرة عرش الامارة حتى مقتله في٠ ٩٤هـ\ ـ١٥٣٣- ١٥٣٤م وفي هذه المرة طالت فترة حكمه حوالي ٢٠ عاما.

لم يكن عبثا أن امراء الكورد الذين قام الشاه اسماعيل باعتقالهم عام ١٥٠٥م قد اقروا في اثناء تحقيق الشاه معهم بان زعيمهم هو الامير شرف. وكان يرى في

نفسه ممثلا جديرا لدار امراء بدليس العظيمة وخلال المرحلة الاولى من الحكم وحتى قبل زجه في السجن، وخلال المرحلة القصيرة الاولى من حكمه ممثلا جديرا لدار امارة بدليس القوية. وكان جد مؤلف " شرف نامه " يترفع على حكام بدليس في القرن الخامس عشر ومنتصف القرن السادس عشر. ولم يكن يجاريه سوى شمس الدين الذي سك عملته النقدية وكان حليفا لقره قوينلو.

كان الامير شرف يشعر بان له اليد الطولى في ممتلكاته، وكان رهيبا وصارما مع كل من يتطاول عليها. والمثال الطريف على ذلك هو علاقته مع عشيرة بازوكي الكوردية، التي كانت اراضيها تقع في جنوب - غرب بدليس. وفي مطلع القرن السادس عشر عندما انهارت دولة اق قوينلو وتنازلت عن موقعها للصفويين، راى شاه سوار بك الذي كان اميراً لاتحاد عشائري قوي انه الاجدى به الا يقوم بخدمة العثمانيين ولا الصفويين، بل اختار خدمة امير بدليس شرف وقام شقيقه خالد بك بازوكي، الذي كان ممثلا بارزا لاسرة زعماء عشيرة بازوكي، بالعمل عند الشاه اسماعيل وبعد زج الامير شرف في السجن ، استولى على مقاطعات خنوس واوحكان موش.

لما وقفت عشيرة روزكي ضد القزلباش فقد شاركتها عشيرة بازوكي في القتال ضد عساكر الشاه الصفوي. وخاض افراد عشيرة بازوكي المعركة على نحو مباغت ، تلك المعركة التي قتل فيها الشيخ امير بلباسي، وذلك بعد ان " شهروا سيوفهم " في مؤخرة عشيرة روزكي . وقد اسفرت المعركة عن هزيمة عشيرة روزكي وقتل اكثر حلفاء الامير شرف اخلاصا ووفاء.

وفي ما بعد تخلى خالد بك بازوكي، الذي اعلن عن مطامعه في منصب الحاكم، عن الشاه اسماعيل واعترف بسلطة سليم الاول وشارك، شأنه في ذلك شأن الامير شرف في معركة جالديران الى جانب السلطان. لكنه اعدم بأمر من السلطان بعد احراز النصر مباشرة. وما ان غاب خالد بك بازوكي عن المسرح السياسي، حتى نشب في عام ١٥١٦م خلاف بين عشيرة روزكي وعشيرة بازوكي

جراء خنوس وموش اما الامير شرف، الذي قام بطرد القزلباش من اراضيه، قد قضى على ذلك الجزء من عشيرة بازوكي، الذي ثبت اقدامه في خنوس واوحكان موش.

كانت ثمة اسباب للقتال والحرب، فقد كانت موش بوديانها الخصبة تمثل مستودع حبوب لامارة بدليس ، ففي خنوس كانت توجد مراعي صيفية مترامية الاطراف . وشن الروزكيون الحرب في منتصف الشتاء، وفي وقت لم يكن بوسع الطيور الطيران في الاماكن المكشوفة من شدة القر والبرد. وظهر الامير شرف ومعه الف وخمسمائة شخص من شباب روزكي الشجعان وهم بالجوارب والجراميق وعلى حين غرة، و اغار بهم على رستم بك فقتله، وقتل اثنين من ابنائه و ٤٠٠ نفرا من فتيان بازوكي واعمل سيفه فيمن عثرا عليه منهم دون اكتراث بالذكور والاناث والاطفال والشيوخ. كتب شرف خان بدليسي يقول : " لم يبق واحد على قيد الحياة " (شرف نامه ١٩٦٧: ٤٧١). فقد اضرمت النار في بيوتهم وعادت وحدة الامير شرف من حيث جاءت وبسلام ومعها غنيمة ثمينة بعد ان اسرت اطفالهم وزوجاتهم. وكما يبدو وبوضوح فان الغنيمة التي جاء شرف خان بدليسي على ذكرها كانت فعلا ثمينة، ان كانت العلاقات قد ساءت بصورة جدية مع الصدر الاعظم العثماني بسبب حصان اصبح في حوزة الامير شرف كان يعود للبازوكيين.وقد طلب الوزير الحصان من الامير شرف عدة مرات، فامتنع عن اعطائه معتذرا باعذار واهية (شرف نامه) ١٩٦٧ : ٤٦).

كان السلاح في كوردستان، وكما هو في كل مكان، اقوى حجة دامغة، عندما كان الحديث يجري عن السلطة وعن توطيد مواقعه والحفاظ على اراضيه. ولم تؤكد وثيقة العهد الممنوحة من السلاطين سليم الاول وسليمان القانوني سوى على حق الامير شرف في ممتلكاته، ولم يكن بمقدوره السيطرة عليها وتعزيزها سوى الاعتماد على قوته الذاتية. وفي اثناء ذلك وكما يكتب شرف خان فانه كان يقوم باكثر الوظائف اهمية.و

قد عهد الى امير شرف مهمة " المحافظة على الحدود وحراستها واحكام الثغور وصيانتها من الديوان السلطاني " (المصد السابق ٤٥٦) وهذا ما سمح للامير البدليسي المحافظة على وضع شبه مستقل عمليا. ومع ان السلاطين كانوا يقومون بملاطفة الامير شرف واهدائه الشهادات الرسمية الا انه لم يظهر عن حماسة في خدمة العثمانيين وهو يسعى الى ضمان دعم الدولتين الكبيرتين ايران و تركيا له.

حسب شهادة شرف خان بدليسي كان يوجد احد عشر حصنا منيعا تحت سلطة جده، وقد قام بتكليف " ممثلي عشيرة روزكي الاكثر نبلاواصالة " برعايتها، وحسب شرف نامه فان جميع القلاع والحصون كانت في تلك الازمنة مأهولةبالسكان ومزدهرة (المصدر السابق ٤٦١).ونجد بين الحصون الاحدى عشر التي اتينا على ذكرها قلعتان هما اخلاط وموش اللتين شيدهما " اباء واجداد " مؤلف " شرف نامة " على قمة جبل يقع على مقربة من مدينة موش.وقد جرى تدمير القلعتين في منتصف القرن السادس عشر تدميرا كاملا، وكان الشاه طهماسب قد قام بتدمير الاولى، اما الثانية فقد دمرها السلطان سليمان القانوني الذي قام باعادة بنائها (قلعة موش جزئيا) كما يورد شرف خان ذكر قلعة اونيك الواقعة على قمة جبل في شرق ارضروم بالقرب من نهر اراس.والجدير بالذكر ان هذه القلعة الحصينة قد اهداها امير بدليس شمس الدين الى والد زوجته السلطان قره يوسف قره قوينلو، الذي توجه اليه طلبا للحماية (المصدر السابق ٤١٨).

تستأثر قلعة اختيمار باهتمام كبير، هذه القلعة التي تقع على جزيرة صغيرة في بحيرة وان وتحمل اسم البحيرة ذاتها.وحسب شهادة شرف خان بدليسي فقد كانت هذه القلعة تعود الى عشيرة روزكي منذ غابر الازمنة (المصدر السابق ٤٧٢)، وتحولت ملكيتها في وقت متأخر الى امراء شنبو (هكاري).تم الاستيلاء على القلعة في اثناء حكم الامير شرف وانتقلت الى ممتلكاته، وكان الامير يثق بأمن اسرته وابنه الوحيد شمس الدين ضمن اسوارها.وقد تم بأمر من الامير شرف بناء سفن عديدة بغية الاستيلاء على قلعة اختيمار وحمايتها في ما بعد، ويذكر شرف خان بدليسي

قلعة كيفندور الواقعة بالقرب من مضيق جبلي يحمل التسمية ذاتها، وقد اختفى ضمن اسوار هذه القلعة الامير شرف واسرته وولده البالغ من العمر سنتين و ذلك في لحظة كان يحدق بهم خطر ماحق، عندما كان جد شرف خان بدليسي يقبع في احد سجون الشاه اسماعيل الصفوي (شرف نامه : ٤٤٥). كما ورد ذكر قلعة كيفندور عند تاجر من البندقية في القرن السادس عشر اغفل اسمه، وحسب اقوال هذا التاجر فان هذه القلعة شيدت فوق قمة جبل وفي الطريق من حصنكيف الى بدليس. وفي اسفل القلعة كان يقع مضيق جبلي ضيق ويجري بالقرب منه نهر بدليس جاي في وادي عميق.

ويتضمن الجدول الذي اورده شرف خان بدليس اسماء قلاع امورك،و كلهوك،و سلام،و فيروز،و كلهور،و تاتيك وسوي، التي، كمايبدو، كانت حصينة ومنيعة. ويجري ذكر قلعة سوي مثلا في رسالة وجهها القائد العسكري لدى سلاطين اق قوينلو الى حاكم هكاري عزالدين شير، حيث جاء فيها:

" اذا كان قلعة كوركيل وقلعة العمادية وقلعة باي وقلعة سوى من اعمال بدليس تحت تصرفنا فاننا لا نهاب بأسكم، وان الاكراد لا يأبهون لخيامكم المضروبة في بلادهم بل يسخرون منها وينظرون الها نظرة تحقير وازدراء كأنها كومات من السرغين وارواث حظائر البقر " (المصدر السابق ٢٠٤).

كانت قلعة سوي واختيمار تقعان الى الشرق من بدليس بالقرب من اراضي امراء هكاري، اما قلعة كلهوك فكانت تقع في بوهتان في مقاطعة اروخ (نعيد الى الاذهان ان جد شرف من ناحية الام كان الامير محمد اروخي). وكانت ممتلكات حاكم بدليس تمتد من الغرب الى الشرق ومن بوهتان الى هكاري.

لم يرد ذكر قلعة بدليس في هذا الجدول، ولم يكن الامير شرف يثق باحد لحمايتها، سوى المقربين من دائرته، لا بل انه لم يثق حتى باكثر ممثلي عشيرة روزكي اصلا ونبالة.كان الحصن يقع في مركز المدينة ومحاطاً بالانهار من جهاته الثلاث وهي نهر قره سو وحوزروف جاي، اللذين كانا يلتقيان في جنوب القصر والمسجد الكبير وهي تشكل

بدليس جاي.وكما كتب شرف خان كانت القلعة بشكلها وكما تظهر على خارطة بدليس وضواحيها تعيد الى الاذهان مثلث الشكل قد امتد زاويته الشمالية بشكل اساسي.

كان نفق بدليس يقع على مسافة فرسخ الى الجنوب من بدليس، الذي سمي فيما بعد بنفق سيميراميدي، انه مكان رائع جدا. ولم يكن بوسع التجار والمسافرين القادمين من تركستان والهند ومن جدة وزنجبار وشمال الصين وحوتان، ومن روسيا والبلدان السلافية، وتجار العرب والفرس من العبور دون المرور عبرهذا النفق (المصدر ذاته ٣٨٦). ولهذا فان المكان الذي يقع فيه بدليس يسميه صاحب " شرف نامه " بمضيق بين اذربيجان و دياربكر.

لقد تركت حصون الامير شرف انطباعا على " حكام العصر "، وأثارت لديهم رغبة لا تقهر للاستيلاء عليها او تدميرها، الامر الذي برهن عليه كلا من السلطان سليمان والشاه طهماسب. وقد كان بوسع الامير شرف الذي كان لديه قوة كبيرة في مؤخرة جيوشه ان يقوم بحملات خارج حدود اراضيه، مثلا في سرت وارزن، (شرف نامه ١٩٦٧ : ٤٧٢)، وقد اسفر عن ذلك عن قرار السلطان سليمان في عام ١٥٣١ – ١٥٣٢م بالقضاء على السلالة الشبه مستقلة ونزع قلعة بدليس من الامير شرف، الامر الذي ادى به في نهاية المطاف الى تحول مكشوف الى جانب الشاه الايراني.

في عام ١٥٣١م لاذ أولمة تكلو امير عشيرة القزلباش بالفرار الى تركيا، وذلك بعد ان قام بانتفاضة في تبريز ونهب عاصمة الدولة الصفوية وتوجه بنداء الى السطان سليمان يعبر فيه له عن مشاعرالاخلاص والوفاء، وسرعان ما احتال على الامير شرف وكذب عليه وحصل على وثيقة رسمية لحكم بدليس. وتنفيذا لارادة السلطان قامت وحدة من الجيش الانكشاري وقوة قوامها ٣٠ الفا بمحاصرة قلعة بدليس. وتوجه الامير شرف الى الشاه طهماسب طلبا للمساعدة، وبعد مرور ثلاثة اشهر كانت القلعة بمن فيها تستعد للاستسلام بين لحظة واخرى تحت ضغط المحاصرين، قدم الشاه طهماسب مع حرسه الخاص من مدينة تبريز العاصمة، فلاذ القائمون بالحصار بالفرار دونما ابطاء.

استقبل الشاه طهماسب استقبال المنتصرين*، وقام جباة" اغلاظ "بجمع اموال طائلة من " النصارى والمسلمين وريع المناجع والمراتع المستحصلة من عشائر بدليس وقبائلها " وتقديها للشاه.ومنح الحاكم الصفوي وثيقة رسمية للامير شرف ورد نصها في " شرف نامة " (المصدر السابق ٤٦٤ -٤٦٦). وقد وصف فيها حاكم بدليس بالامير الاعلى و (اميرالامراء) كوردستان والخان وبارفع لقب في الدولة الصفوية، ومن الان فصاعدا يجري تسمية الامير شرف، شأنه في ذلك شأن حفيده صاحب كتاب " شرف نامه " بالخان. جرى التوقيع على الامر في ٢١ ايلول عام ١٥٣٢م وبعد مضي ٤٥ عاما سيتم نصب حفيد شرف خان بدليس مؤلف تاريخ كوردستان، والامير الاعلى للعشائر الكوردية في ايران وذلك بموجب امر اصدره اسماعيل شاه الثاني ١٥٧٦ – ١٥٧٧ م.

وقام الامير شرف بعد اعتلائه سدة العرش بالتنكيل بخصومه السياسيين الذين أيدوا أولمه تكلو ودونما ابطاء. ولم يفلح سوى في معاقبة امير خيزان، عندما ظهرت من جديد وحدات الجيش العثماني بالقرب من اسوار قلعة بدليس وبرفقتها اولمه تكلو، كي تقوم بمحاصرة القلعة ثانية.

عقد الامير شرف مؤتمرا عاجلا، وطرح على زعماء عشيرة روزكي سؤالا واحدا وهو خوض القتال فورا او التهرب منه. وكان الامير نفسه يرى انه من الافضل التريث والترقب. وتم اتخاذ قرار القتال بعدما تحدث زعيم عشيرة سيدي علي اغا برتافى، الذي كان متحمسا لخوض المعركة. ودفع الامير شرف حياته ثمنا للقرار وكذلك الوكيل سيدي

---

* جرى تصوير استقبال الشاه طهماسب بصورة متميزة للغاية في منمنمة مخطوط بودل " شرف نامة " (الصفحة ١٤٤ ، ١٤٥) ويتالف التصوير من جزأين ، اللذين يمكن النظر اليهما كحبكات مستقلة . وعلى هذا النحو تحديدا ادرك عبد الرقيب يوسف المنمنمة مؤلف اكثر اصدارات اهمية بالنسبة لنا والمكرسة لمنمنمات مخطوط بودل " شرف نامه " وهو يسمي الجزء الاول (الصفحة ١٤٥) الشاه طهماسب في مدينة اخلاط.

الجزء الثاني (الصفحة ١٤٤) " مجلس الامير شرف امير بدليس.

علي برتاني و ٥٠٠ من ممثلي النخبة في عشيرة روزكي. واخترقت الرصاصة الكتف الايسر للامير** وقتل في معركة فرضها هو وذلك بالقرب من تاتيك، وهو في ريعان الشباب ويحمل لقب امير كوردستان الاعلى. وورثه ابنه الوحيد الامير شمس الدين الذي يصبح أباً لشرف خان بدليسي بعد مضي ١١ عاما.

يشغل الامير شرف مكانة بارزة بين حكام كوردستان الاقوياء، فقد كان بلاد الكورد تجد في شخصه في الثلث الاول من القرن السادس عشر حاكما قويا لمقاطعة بدليس ويثق بقوته ومستقل عمل، فالاتحاد والعشائري روزكي كان ينصاع لاوامره دون تردد وكانت القلاع و الحصون قوية ومنيعة وقد استفاد الامير حتى من طلاب بدليس وقدراتهم العسكرية. فقد شارك الامير البدليسي على رأس وحدة مؤلفة من ٥٠٠ طالب ضد القزلباش (شرف نامه ١٩٦٧ : ٣٩٢).

لقد فقد بيت امراء بدليس مدة, نصف قرن تقريبا السلطة على المتلكات الموروثة بعد مقتل الامير شرف ولغاية عودة المؤلف " شرف نامه " من ايران ١٥٧٨م الى بدليس ارض الاجداد، وهذا ما جرى في عهد حكم الامير شمس الدين، والد شرف خان بدليسي.

** عندما تحدث شرف خان بدليسي عن المعركة ونتيجتها وصف جده بالخان، هذا اللقب الذي منحه الشاه طهماسب، وهذا يدل على مدى النفوذ الرفيع واهمية هذا اللقب في انظار المؤرخ الكوردي. ولهذا السبب ليس مقنعا ما يقال من رأي حول انه ينبغي تسمية مؤلف " شرفنامة" بالامير شرف وليس شرف خان.

٤- الامير شمس الدين، والد شرف خان بدليسي
(١٥٠٣م \ ١٥٠٤ –١٥٧٦ م)

كان الامير شمس الدين الابن الوحيد للامير شرف وزوجته شاهبيك خاتون ابنة امير حزو (صاصون) علي بك صاصوني. ويكتنف بعض الغموض سنوات ولادته.واذا ما اخذنا بمعلومات شرف خان، بان والده قد مات وهو يناهز السابعة والستون من العمر (حسب السنوات القمرية). وفي السنة الاولى من اعتلاء الشاه اسماعيل الثاني العرش (٩٨٤ – ٩٨٥هـ \ ١٥٧٦ –١٥٧٨م)، فان ولادة الامير يصادف ٩١٧ هـ\ ١٥١١ –١٥١٢ م.

لا يرتبط العام المشار اليه ارتباطا دقيقا بالتاريخ الوارد في " شرف نامة "وهو ٩١٣هـ \ ١٥٠٧- ١٥٠٨م اي عام تسليم قلعة بدليش للقزلباش.ويقام سلسلة كرونولوجية الى هذا التاريخ، التي اقترحها مؤلف هذا السطور. قبل ان يتم تسليم القلعة جرى محاصرتها والدفاع عنها (خلال سنتين ونصف) الذي لم يشارك فيه الامير شرف والد الامير شمس الدين.فقد تم الدفاع عن القلعة مدة عامين وبزعامة الامير ابراهيم، ولمدة نصف عام دافع عنها الاتحاد العشائري الروزكي وبقواه الخاصة.فرض القزلباش الحصار على قلعة بدليس وذلك فور قيام الشاه اسماعيل الاول بزج الامير شرف في السجن، الذي كان في عداد احد عشر امير كورديا قدموا الى تبريز للتعبير عن فروض الطاعة والولاء للحاكم الصفوي.

وعلى هذا النحو يمكن القول بان اعتقال الامير شرف وزجه في السجن يعود الى عام٩١١هـ./١٥٠٥- ١٥٠٦م وحسب " شرف نامه " كان عمر الامير شمس الدين عند اعتقاله يبلغ عامين (شرف نامه ١٩٦٧ : ٤٤٥)، الامر الذي يسمح بتحويل تاريخ ميلاده الى عام ٩٠٩ هـ\ ١٥٠٣ – ١٥٠٤م واطالة سيرة حياته لمدة ستة اعوام. وحسب هذا الترتيب الزمني فانه قد تسلم مقاليد السلطة وعمره ثلاثون عاماً في (٩٤٠هـ \ ١٥٣٣ – ١٥٣٤ م) وتسلم شهادة رسمية لادارة دفة الحكم في بدليس من السلطان سليمان القانوني.

كان الامير شمس الدين رجلا انفعاليا ميالا الى المعاناة الروحية، خلافا عن والده الذي كان طموحا ومقداما.ويبدو ان الحنين الى الوطن والاقارب لم يبارحه، واثار صوت الحنين الى الديار لديه كأبة روحية عميقة اكثر من مرة.

وربما كانت الاحداث، التي وقعت في عهد الطفولة البعيدة. قد ارست دعائم مثل هذا التكوين لشخصيته، ففي عام (١٥٠٥ – ١٥٠٦م)عندما كان الامير شرف يقبع في السجن بأمر من الشاه وكان عمر ولده شمس الدين عامان، قد احدق به و بوالدته شاهبيك خاتون خطر ماحق. وقرر الأمير ابراهيم الذي تم اخلاء سبيله للتو من سجن دام سبع سنوات، التنكيل باسرة الامير شرف وبابنه الصغير مع والدته. ولم يحل دون ذلك سوى التدخل الفعال من جانب زعيم عشيرة بايكي، مما حدا بالامير ابراهيم الامتناع عن ذلك.اختفت الام وولدها عن الانظار في قلعة اختيمار في جزيرة محاطة بمياه بحيرة وان.وفيما بعد يجرى ذكر القلعة في " شرف نامه " مرارا، لقد اخفى الامير شرف ابنه الوحيد وامه داخل اسوارها، عندما كان ذلك ضروريا.

لم يستمر حكم الامير شمس الدين في بدليس طويلا، حوالي عامين وقد جاءت المكائد والدسائس التي حيكت في ظل البلاط السلطاني و قام بتدبيرها اولمه تكلو العدو اللدود لوالده ثمارها، فقد اقترح السلطان على الامير شمس الدين حكم ملاطية، اما شهادة حكم بدليس فقد قام بتسليمها الى اولمه.ولم يتمكن اولمه من استخدام الشهادة اذ لم تكن تكفيه الجرأة. كانت الامارة في حالة غليان، وعبرت العشائرعن استيائها وغضبها، ولم يكن الخضوع لوكلاء السلطان على بال احد.

جرى ابلاغ الامير شمس الدين حول قرار السلطان سليمان بتحويل ملاطية و مرعش الى" ملكيته الخاصة " وذلك في المجلس السلطاني وبحضور الوزراء الكبار.وسارع نجل الامير شرف في الرد قائلا : " انه يوافق على القرار السلطاني مع الطاعة ". ان الطاعة والتسرع ذاته الذي جرى التعبيربه عن هذه الطاعة لا يتناسبان مع استقلالية الامير وجسارته.وعندما نواصل وبصورة عفوية مقارنة جد صاحب " شرف نامه "

ووالده نرى ان الامير شرف لم يكن يتنازل عن شبر واحد من اراضيه لأحد، وكان يقوم بتعزيزها دائما وزيادة مساحتها.

لقد تعجب السلطان سليمان من مثل هذا الخضوع، عندما ابلغوه بما قاله الامير شمس الدين في المجلس "ان رؤوسنا واملاكنا وارواحنا جميعا تحت امرة السلطان " (شرف نامه ١٩٦٧ : ٤٧٦).ومنح نجل الامير شرف هدايا ثمينة وشهادة رسمية لحكم ملاطية. وترك قلعة بدليس وولاية بدليس وسافر الى ملاطية.لكن كما يبدو كان عليه اخذها عنوة، فقد تم توجيه زعماء الاتحاد العشائري روزكي الى ملاطية للسيطرة عليها.

كان طريق الامير شمس الدين يمر عبر صاصون (حزو)،وهي منطقة وعرة المسالك، حيث كان يحكم جده علي بك صاصوني و حموه محمد بك حزو، الذي جرى وصف زواج ابنه في " شرف نامه " بكل ابهتها.التقى الامير شمس الدين بابن محمد بن سليمان بك وحاول جاهدا اقناعه بعدم السفر الى ملاطيه. ولم يكن لدى البك الصاصوني ادنى ثقة بالاتراك : " لو قضوا عليك لانقرضت من بعدك سلالة حكام بدليس الى الابد ".

أثارت عبارات سليمان بك الصارمة والمفعمة بالقلق " الخوف " لدى الامير شمس الدين، وعوضا من ان يسافر غربا الى ملاطية توجه شرقا الى تبريز اول عاصمة للصفويين *، فكما يكتب صاحب " شرف نامه " فقد آثر ترك وطنه والسفر الى اذربيجان.

واصلت عشيرة البلباسي وغيرها من عشائر الائتلاف الروزكي في بدليس العناد في عدم خضوعها، وكانت عشيرة بلباسي بشكل خاص تثير الخوف بما لديها من نزعة حربية، وحاول اولمه تكلو استمالة افراد هذه العشيرة ورشوتهم عمليا.فقد تم تحويل ملكية اربع مقاطعات (سناجق) من امارة بدليس الى ابراهيم بك ابن الشيخ امير بلباسي وبطلب من اولمه تكلو. وامتلك البك البلباسي قلاع امورك، وكلهوك،و بوغناد، لكن اعمال الشغب لم تتوقف وتواصل عدم خضوع الاتحاد العشائري الروزكي

للسلطات العثمانية ثلاثة سنوات، ولم يتمكن اولمه تكلو من تحقيق ما تسلمه من شهادة للحكم في بدليس من السلطات، كما انه لم يجرأ على تحقيق ذلك.

استقبل الشاه طهماسب الامير شمس الدين في ايران بترحاب شديد، و نال، شأنه في ذلك شأن ابيه، لقب الخان وحكم عدة مقاطعات في اذربيجان بما فيها سوراب الى الشرق من تبريز.وفي ما بعد منح مقاطعات مراغه، ومنطقة خصبة وشاسعة في طبرستان هي دماوند، وكاراهرود، وجهرود، وفراهان العراقي وتم ضم الامير شمس الدين الى عداد الامراء العظام في الدولة الايرانية،و كان يقضي الجزء الاكبر من وقته مع الحاكم.

وعند وصول الامير شمس الدين الى ايران تزوج ثانية واتخذ من إبنة حاكم همدان امير خان موصلو زوجة له، وهو من " عشيرة تركمانية قوية " وكان الامير خان يرجع بنسبه الى اسرة شهيرة منذ عهود السلاطين آق قوينلو.

كان امير بك جد امير خان والملقب بتوكماق بياندور يتمتع بمكانة خاصة لدى اوزون حسن آق قوينلو (١٤٥٣ – ١٤٧٨ م) وكان على رأس جميع الامراء و الحكام.و بقي غلابي بك والد امير خان في الظل بعض الشئ، الامر الذي لا يمكن قوله عن امير خان نفسه.وحسب ما ورد في " شرف نامه " كان امير خان (في ذلك الوقت امير بك) يحكم في ديار بكر في مطلع القرن السادس عشر وذلك في اثناء الزحف الظافر للشاه اسماعيل نحو الغرب.واستقبل الحاكم الصفوي الاول " بفروض الطاعة والولاء والاستكانة وقدمت له هدايا ثمينة " ومن بين تلك الهدايا المقدمة للحاكم الصفوي كان ياقوت احمر قد اخذه سلاطين اق قوينلو من الخزائن القديمة.

قام الشاه بمكافأة امير خان مكافأة مجزية، فقد منحه لقب الخان الذي يعد ارفع لقب في اجهزة السلطة والحكم وكلفه بتربية نجل الشاه وحفظ الختم الحكومي والشي الذي لا يقل اهمية هو ان الشاه منحه حكم هيرات وخراسان وفي اربعينيات القرن السادس عشر كان امير خان يحكم همدان عندما كان والده صاحب " شرف نامه " في ايران.اننا مدينون لهذا الزواج وما نجم عنه ولادة ولد اثر الاتحاد الزوجي لعمل اساسي في تاريخ

الكوردي الا وهو كتاب " شرف نامه ".لقد توحدت سلالتان كبيرتان من نسب الامراء في مؤلف شرف نامه، وجرت المصاهرة بين عائلتين عندما دخل زعماؤها في عداد الامراء العظام للدولة الصفوية.

قدم الامير شمس الدين الى ايران مصطحبا معه اسرته واهل بيته وممثلي النبلاء في عشيرة روزكي.اما ما هو عدد النبلاء في عشيرة روزكي والناس من الاتحاد العشائري الذين كانوا في حاشية الامير البدليسي؟ فهذا خاضع للتخمين وحده.وفي وقت متأخر وصل عدد كبير من الناس وانضموا الى دائرة الامير ويذكر شرف خان بدليسي على احدى صفحات كتابه انه " كان لستة ممثلي من النخبة الروزكية شرف مواكبة والده " وقد ورد لاحقا في السفر التاريخي ذكر ١٥٠شخصاً من افراد عشيرة روزكي، الذين انضموا الى " القورجيين العظام "* والى الحاشية الجديرة بالحاكم،وجرى الحديث عن ٤٠ قورجيا من عشيرة روزكي انضموا الى الامير شمس الدين بالاضافة الى دده بك قواليسي بوصفه وكيلا**.

*في عام ١٥٤٨م انتقلت عاصمة الصفويين الى قزوين

وكانت حاشية شرف خان بدليسي تضم ٤٠٠ ملازما*** عندما غادر ايران الصفوية وعاد الى بدليس، وكان ٢٠٠ من هؤلاء الملازمين ينتمون الى عشيرة روزكي.وفي حقيقة الامر فقد عاد الى بدليس الى الوطن عدد اكبر من عشيرة روزكي. ويتحدث صاحب " شرف نامه " عن هجرة مجموعة كبيرة من عشيرة روزكي و" عن الف انسان من الرجال والنساء والشيوخ والشباب الذين كانوا يتضرعون الى الله طيلة سنوات للعودة الى بلاد الاسلام " (شرف نامه ١٩٦٧ : ٣٩٦، ٣٩٧، ٤٧٧، ٤٧٩).

** اسم فيلق الحرس.

*** كان الوكيل لدى امراء بدليس يدير الشؤن الداخلية لعشيرة روزكي

*** العسكريون القدماء

الا ان مهما يكن عدم تناسب ذلك الجزء من عشيرة روزكي، الذي سافر الى ايران مع الامير شمس الدين مع الجزء الذي ظل في ولاية بدليس عدديا فان الشاه طهماسب قد اولى اهمية سياسية كبيرة لتعيين امير من عشيرة روزكي. وقد صدر امر شاهنشاهي خاص يقضي بتعيين رئيس الاتحاد العشائري، وجرى التأكيد فيه بشكل خاص على اعالة الاسرة الاميرية والعشيرة.وأتاحت هذه الاجراءات الطريق امام الاعتماد على رد فعل مناسب من جانب ألعشائر القوية التي كانت تنضوي تحت لواء الاتحاد العشائري الروزكي في ولاية بدليس البعيدة عن العاصمة الايرانية.لم يرغب الامير شمس الدين، بل، وعلى الارجح، لم يستطع التهاون مع ما فقده ممتلكات وراثية، وفي نهاية المطاف دفع به حالة الكآبة التي استولت عليه الى تعاطي المشروبات والادمان على المخدرات.لقد غادر الامير البلاط الشاهنشاهي اكثر من مرة وراح يبحث عن " زاوية منعزلة "،حيث تخلى عن كل نوع من انواع التواصل مع الناس. وفي عام ١٥٧٦م عام وفاة الشاه طهماسب وتبوأ اسماعيل الثاني سدة العرش تم استدعاء الامير شمس الدين الى البلاط. وكلفت هذه العودة حياة الامير، فقد كانت الصدمة الروحية كبيرة جدا إثر اللقاء مع الاهل والاسرة. وحسب ما رواه شرف خان في كتابه " شرف نامه " فان والد شرف خان بدليسي قد قضى نحبه حين عودته الى قزوين وعن عمر يناهز السابعة والستين عاما.

٥- شرف خان ابن الامير شمس الدين ابن الامير شرف في ايران في خدمة الصفويين

ولد شرف خان (الامير شرف*) في اليوم الخامس والعشرين من شهر ذي القعدة سنة٩٤٩هـ والمصادف في ٢٥ شباط ١٥٤٥م، وكانت الولادة في قلعة كرهرود في قم احدى المقاطعات التي وهبها الشاه طهماسب للامير شمس الدين.وما نعرفه عن حياة شرف خان فقد اخذناه من الوصف المختصر " لظروفه "، هذا الوصف الذي قدم في نهاية المجلد الاول لكتابه وبمثابة ملحق ويسمى " في ترجمة حياة الفقير الحقير ذي البال الكسير منذ ايام ولادته وحتى الان أي حتى ١٠٠٥هـ (١٥٩٧ م).

لقد اخذوا شرف خان من والدته على الفور تقريبا**، وذلك بعد ان ادت وظيفة رئيسية هي الانجاب: " ما كدت ابلغ من قوة العقل مبلغا اميز بها اليمين من الشمال ".وقد عهد الى الوكيل – لا له امر العناية بشرف خان بدلاً من والديه " الذي عقل رحاب طبعي بعقال عقله ". وهذا العقال المكين بطرائق العقل قد حمله شرف خان خلال سيرته الحياتية كلها، وهذا ما لم يساعده على تجاوز النكبات وحدها التي ساقها المصير اليه، وساعده على ان يكون ما آل اليه.

ولم يكد المعلم يفلح في " زرع حقل قدراته ببذور المعرفة والعلم، حتى شرع مجموعة كاملة من المعلمين والاساتذة في تربية المؤلف القادم لكتاب " شرف نامه ". تلقى

---

* كما جرى الذكر انفاً ثمة رأي قائم على قناعة راسخة وهو انه ينبغي تسمية مؤلف " شرف نامه " بالامير شرف وليس شرف خان ، ارى انه يحق لنا ان نسميه شرف خانا .

لقد كان مؤلف " شرف نامه " يقدر لقب الخان تقديرا عاليا ، وليس عبثا ان شرف خان كان يسمي جده شرف خان مثلما كان يسمي والده ايضا،وقد كان جده يسمى الامير شرف ، قبل صدور امر الشاه ،وذلك عند تصوير الاحداث اللاحقة (بعد عام ٩٣٨هـ \ ١٥٣٢ – ١٥٣٣ م) ، شرف خان مثلما كان يسمي والده (انظر شرف نامة ١٩٦٧ : ٤٠٥ ، ٤٦٥) .

شرف خان بدليسي تربيته من التاسعة، وحتى الثانية عشر من عمره (١٥٥١ – ١٥٥٤ م: ١٥٥٥م)مع ابناء القزلباشية في بلاط الشاه طهماسب ومع ابناء الشاه ذاته.لقد تجلى عمليا نظام الرهائنية والرغبة في وجود نجل للبيت ولدى البلاط في هذا الشكل الظريف،حيث كان الشاه معنيا بولائه.

وجاءت التربية بعد ذلك متعددة الجوانب، وكان اطفال الامراء والاعيان يتعلمون لدى البلاط آداب السلوك والتصرف الانيق، الامر الذي كان مفيدا في الحياة اللاحقة.كان شرف خان بدليسي مع انجال البيت الحاكم يتتلمذ على ايدي اساتذة مهرة فقد كان يتعلم الخط والرسم ويدرس الطب والرياضيات والفلك والموسيقى والشعر والدين.لقد كتب قازي احمد في دراسته عن الخطاطين والفنانين، في نهاية القرن السادس عشر عن هذه المواد الالزامية التي تعلمها لدى البلاط، لقد كان قازي احمد الغفاري معاصرا لشرف خان بدليسي (قازي احمد ١٩٤٧م : ١٧)

تعلم الامير الشاب قوانين الحياة الكوردية في الاسرة ومن الوكيل، فقد اخذ الوصي عليه بيده الى عالم العشائر وبيئتها، ومع نموه وترعرعه اصبح وكيله ومستشاره. وكان الشيخ امير بلباسي زعيم احدى اقوى العشائر الكوردية هو الذي اشرف على تربيه الفتى شرف خان بدليسي عندما يم وجهه شطراذربيجان وهو يبلغ من العمر ١٩ عاما و ذلك للحكم في ساليان و محمود اباد. ومن الصعوبة بمكان ان نتصور وصاية امينة و حماية اكثر من تلك التي كانت لدى البلباسيين الذين كانوا يتمتعون بسمعة عسكرية مثيرة للرعب.وحسب رأي كاتب هذه السطور نحن مدينون للوصي – المربي بالدرجة الاولى لكل ما في عقيدة شرف خان بدليسي، ما سماه ف. ف. مينورسكي على هوامش صفحة ٣٨٣ لنسخته من كتاب شرف نامه** بكلمة

** ربما دفع هذا بالامير شمس الدين تأثره وجرحه النفسي اللذين ربطهما بوصاية الام المفرطة ومشاركتها الكبيرة في تربيته.

*** حسب وصية ف . ف . مينورسكي ، فان الكتاب يوجد في مستودع المكتبة cn6 لمعهد الاستشراق.

" الكوردايتي "***) ويدخل هنامعرفة التقاليد وقوانين الحياة الكوردية* وحب شعبه- وكل ما يكوّن الوعي القومي.

امضى شرف خان بدليسي ثلاث سنوات في همدان تحت وصاية خاله، وتزوج ابنته. وفي عام ١٥٥٩ – ١٥٦٠ تم استدعاء شرف خان الى قزوين الى بلاط الشاهنشاهي، وكان يبلغ من العمر حوالي ١٧ عاما.وبعد مضي عامين تم ارسال امير عشيرة روزكي من مدينة قزوين العاصمة الى كيلان بمهمة اخماد انتفاضة الحاكم المحلي فيها. وكان هذايحتاج ا لى مواهب شرف خان العسكرية والقيادية.

ساعدت التربية المتأنقة والمبنية على ادراك واستيعاب ما كان يحسب في غاية النفوذ والتأثير على حاكم البلاط والوصاية التقليدية (للوكيل – لالـه)، شرف خان في ان يصبح ما اصبح عليه ويلقى على عاتقه عبء مصيره التاريخي وما ذكرنا يحتاج ايضا الى طبيعة متكاملة وفريدة ومواهب وهبت لمؤلف " شرف نامه ".

وفي ٩٦١هـ \ ١٥٥٤ -١٥٥٥ م عندما بلغ شرف خان ١٢ عاما غادر والده الامير شرف الدين البلاط الشاهنشاهي " واختار زاوية نائية " طلبا للسكينة والهدوء وفي هذا استسلم لدوافع الحنين الى وطن. وجرى تعين شرف خان بطلب جماعي من ممثلي عشيرة روزكي زعيما للا تحاد العشائري، وكما ذكر آنفا، فقد توجه برافقة المربي الى اذربيجان حاكما على ساليان ومحمود اباد. وفي ٩٦٥ \١٥٥٧ – ١٥٥٨ ارسل عقب وفاة المربي الى خاله في همدان الذي كان حاكما على هذه المدينة. وتم

*** استخدم الصحافي الكوردي فرهاد شاكلي بالمعنى المماثل المصطلح الكوردي kurdayeti في كتاب افرد للشاعر الكوردي احمدخاني في القرن السابع عشر .

* كتب المؤرخ الكوردي في نهاية القرن التاسع عشر ميرزا علي اكبر – خان صديق الملك و مؤلف " حديقة الناصرية " ، وقد عدّ المؤرخ ذلك "بقانون العشيرة " ، القانون الذي يحمي ويضمن دعائم الحياة الكوردية .

تخصيص النفقات من جباية الاموال الواردة من مناطق همدان لاعالة زعيم روزكي ولاحتياجات العشيرة.

قضى شرف خان سبع سنوات في غيلان واظهر فيها عن مواهبه العسكرية ومقدرته على حل المهام التي كان تبدو مستعصية على الحل، والمثال الواضح على ما قلناه هو القتال مع القائمين بالانتفاضة، فقد كان تحت قيادة شرف خان بدليسي ٤٥٠٠ مقاتلا من الفرسان والمشاة في مواجهة ١٨ الف من الفرسان والمشاة من مقاتلي كيلان. والنصر الذي حققه الامير الكوردي قد كلف سكان كيلان ما يقارب حياة ٢٠٠٠من مقاتليهم. ورغم ما اتخذه شرف خان من موقف حسن تجاه السكان المحليين فانه كان يحسن في اللحظة اللازمة اظهار صرامته وعدم تساهله والقيام بالمهمة الملقى على عاتقه. وقد اضفت الانتصارات التي حققها شرف خان في غيلان والنجاح في فرض نظام "روعة وبريقا اكبر بعد " لمصيره السعيد مثلما يكتب شرف خان في " شرف نامه "(شرف نامه ١٩٦٧ : ٤٨٧).

وفي العام ١٥٧٥م عاد شرف خان الى قزوين ثانية، وقد لاطفه الشاه واولاده وكان موضع اهتمامهم ،لكنه لم يمكث في العاصمة طويلا.وعبر الشاه طهماسب عن رغبة شديدة في ابقائه لديه في قزوين، الا ان حفيد بيت امراء بدليس حاول ترك البلاط الشاهنشاهي دونما ابطاء. فقد اوحى اليه حدسه السياسي الذي لا يخطأ ونظرته الثاقبة بقرب نشوب معركة حامية الوطيس بين العشائر القزلباشية، التي انشقت الى معسكرين متخاصمين وهي على أهبة الاستعداد لمحاربة بعضها البعض بين الفينة والاخرى.وكان الشاه طهماسب طاعنا في السن، بحيث لم تكن لديه القدرة على فرض النظام وبقي له عاما على سدة العرش. وقد احس شرف خان بدليسي بوقوع مذبحة عامة فراح يطلب ارساله الى " أي جهة من جهات الدولة التي يحفظها الله " وبالنتيجة قضى شرف خان بدليسي ثمانية اشهر من حياته في اذربيجان، حيث تم تخصيص واردات للامير الكوردي من الضرائب التي تم جبايتها من اراضي الحكام.

قاربت ساعة الحسم والانعطاف في السيرة الحياتية لشرف خان، التي ازفت في كانون الاول عام ١٥٧٦ – ١٥٧٨، اما هو فقد كان عليه قضاء ثلاثة سنوات اخرى في ايران.وبعد وفاة الشاه طهماسب عام ١٥٧٦ وتبوأ نجله اسماعيل الثاني سدة العرش (١٥٧٦ – ١٥٧٨) كان شرف خان ينتظر ترقية غير متوقعة، فقد استدعاه الشاه الجديد الى العاصمة ومنحه لقب امير الامراء، وامير كوردستان الاعلى.وكان جد شرف خان الامير شرف قد سبق له ان نال هذا اللقب من الشاه وهذا المنصب وبعد مضي ٤٠ عاما تسلم الحفيد الراية وتابع طريقه وكان اشبه بوالده، في قوة ارادته وصلابته، الذي كان ابنه قد حمل اسمه.

اثارت الترقية السريعة لشرف خان بدليسي حقدا شديدا لدى وجهاء القزلباش والرغبة في الانتقاص من الكوردي الأبي. لقد كان اسماعيل الثاني يقضي سنوات كثيرة في قلعة كاخ كاخي عندما كان والده على سدة العرش لكنه تركها ما ان فارق والده الحياة.وقد اظهر تعاطي الافيون والعزلة الطويلة مفعوليهما، اذ اعقب ذلك اعتقالات واعدامات جماعية.

اصغى الشاه الى نمائم المفترين، وفي عام ١٥٧٧ تم ارسال أمير أمراء كوردستان من قزوين حاكما على ناخيجيوان. وقد قدر شرف خان الذي كان يبلغ من العمر انذاك ٣٥ عاما الوضع على نحو مماثل، وعندما تلقى نبأ من السلطان مراد الثالث (١٥٧٤ – ١٥٩٥) حول منحه املاك واراضي اسلافه في بدليس وعرض عليه اخذ جانب تركيا لم يساور شرف خان بدليسي ادنى شك في ذلك.لقد ازفت تلك الساعة التي كان ينتظرها طويلا بإدراك وعلى احر من الجمر، فقد صار الطريق الى البيت وموطن الاسلاف مفتوحا

العودة الى بدليس، الى العش العائلي

وافق شرف خان على اقتراح السلطان مراد الثالث بالعودة الى بدليس دون تردد.لقد كان شرف خان الذي افترق عن موطنه الاصلي، وكان هذا الموطن هو بدليس القريبة من قلبه وعاصمة ممتلكات اجداده المورثة، وكان يتواجد فيها بعقله وبصيرته دائما،ويستمع الى حكايات الوصي المربي والروزكيين وذكرياتهم وفيما بعد عندما انكب شرف خان على كتابة " شرف نامه ". كان يدرك وجوده في ايران بمثابة انتظار لانهاية له للعودة الى بيته، وظل ذلك تيها في " صحراء الضلال ".

كتب شرف خان بدليسي وقد بلغ حوالي ٤٤ عاما انه " انقطع عن الاصدقاء والوطن والاماكن التي عاش فيها واراضيه و وجد نفسه في بلاد القزلباش وذلك جراء مضايقات الغرباء له. وهناك كان مضطرا على سماع العبارات الجوفاء لساكنيها الوضيعين والمحتقرين، ولم يصل هو " من خميلة شائكة في ارض الغرباء الى جنينة الزهور الخالية من الاشواك في موطنه الاصلي، موطن الاباء والاجداد الرائع" الا بعد ان قام بجميع المحاولات. (شرف نامه ١٩٦٧ : ٣٩٦، ٣٩٧).

وفي هذا الصدد كان مصير والد شرف خان بدليسي وازعا للغاية في نظر المؤرخ، فعندما كان يروي كيف ان والده قد انهك عقله بشرب الخمر وتعاطي المخدرات في نهاية حياته (المصدر السابق ٤٨٠). فانه لم يسمح لنفسه بتوجيه عبارات اللوم والتنديد اليه، فقد كان يدرك شيئا واحدا وهو ان السبب الوحيد لذلك هو البعد والانقطاع عن البيت وعن موطن الاجداد.

كان العثمانيون يترقبون الموقف في ايران ولا سيما في البلاط الشاهنشاهي عن كثب، ورأت الدوائر النخبوية ما كان يطمح اليه الحفيد الشاب للامير شرف، الذي سبب لها الكثير من الهموم والمشاغل. لم يكن التواصل مع الامير شمس الدين والد شرف خان طويلا، عامان لا اكثر، الا ان الاضطرابات التي وقعت بعد سفره الى ايران لم تتوقف في الاراضي العائدة سابقالامراء بدليس عدة سنوات اخر.فلم يظهر التحالف

العشائري للروزكيين ولاءه للوكلاء العثمانيين، وقام السلطان باستدعاء شرف خان الى موطن اجداده مستغلا ميزان القوى المناسب لتركيا والموقف في ايران.

وكان النواب هم امير امراء وان وامير هكاري وزعيم عشيرة محمودي الكوردية القوية، وفي الثالث من شهر شوال ٩٨٦ هجري\الثالث من كانون الاول عام ١٥٧٨ سافر شرف خان الى وان ومنها الى عاصمة الامبراطورية العثمانية.

منح السلطان مراد الثالث كتاب عهد الى شرف خان لإدارة الحكم في بدليس، ولباسا فخريا خلعه من منكبه وخنجرا ذهبيا,كما منح له الرداء الفخري والسيف الذهبي من " قائد القوات المنتصرة "، الذي، كما يبدو، قد سبق له ان شاهد الامير شرف في صفوف القوّاد والقادة العسكريين، الا ان شرف لم يجعل نفسه رهين الترقب والانتظار، وبعد " ان حقق ما كان يصبو اليه من اَمال وبلغ مراميه " فانه قد" اصبح جديرا بسعادة العودة الى حصن الاباء والاجداد والعظام "، لقد خدم شرف خان العثمانيين عشرات السنين،عندما شارك في المعارك الحربية الايرانية – العثمانية مشاركة فعالة، لكنه الأن في صفوف قوات السلطان مراد الثالث.

في عام ١٥٧٨ استؤنفت الاعمال العسكرية بين العثمانيين والصفويين بعد هدنة لم تستمر طويلا، وبدأ دخول القوات التركية الى جيورجيا الشرقية، وكان شرف خان صاحب " شرف نامه " يقود قوات التغطية في مؤخرة الجيش التركي، وفي العمليات العسكرية التي جرت في شيروان، وجيورجيا وأرمينيا كان شرف خان يخدم بتفان واخلاص، حسب اقواله لم يترك شأنا صغيرا، الا وقد كان موضع اهتمامه وشهد على خدمته المخلصة للسلطان.وردا على ما كان يقوم به شرف خان فقد احاطه السلطان العثماني برعايته وغمره بعطف لا حدود له، الامر الذي كتب عنه اربع مرات في رسائله " المدبجة ببراعته السياله جواهر ودررا " (شرف نامه ١٩٦٧ : ٤٩٠).

كان شرف خان يحمل القلم بيد والسيف باليد الاخرى، فالسنوات، التي قضاها في ساحات القتال وانتقاله الى جانب تركيا عندما بلغ من العمر ٣٥ عاما، تصل مجموعها الى ٤٤ عاما،و التي كتب عنهاوامضاها بعيدا عن بدليس.

انتهت المعارك، التي شارك فيها صاحب " شرف نامه " وراح ينعم بالهدوء والسكينة والراحة النفسية في أرض الأجداد، وذلك بعد طول انتظار. ولما بلغ شرف خان عامه الرابع والخمسون استطاع العودة الى فكرته المنشودة التي لازمته طيلةحياته وهي وضع كتاب عن تاريخ الكورد، ومما ساعده على ذلك هو التعليم الرائع الذي تلقاه في البلاط الشاهنشاهي والولع الشديد بالكشوفات التاريخية والسعي والاندفاع الذي لا يقاوم الى ذلك منذ نعومة اظافره.لقد ولدت دراسة الاسفار التاريخية والاساطير القديمة عن " مـآثر الحكام في الازمنة الغابرة " الرغبة لديه في تأليف كتاب لم يستضئ بعد " بشعاع فطنه الضالعين في التاريخ".

وكان تاريخ الشعب الكوردي الذي لم يكتب بعد ينادي شرف خان، وكان شرف يشعر " بكل كيانه " و " طبيعته " بمهمته التاريخية. لقد كرس شرف خان السنوات الاخيرة من حياته لوضع كتاب حول التاريخ الكوردي وهو بذلك " ينصاع لطبيعته " وصوته الداخلي، ومن الآن فصاعدا تكون مهمته هي " تصوير نقل ما تسنى له العثور في الحوليات الفارسية وما سمعه من الطاعنين في السن الصادقين، وما كان هو شاهدا عليه وما كان معروفا ولو شيئا منه"

سلم شرف خان شؤون الادارة الى نجله أبو المعالي شمس الدين بك*، وكتب خلال فترة قصيرة كتابا خلد اسمه. لقد كان الابتعاد عن الصدامات العسكرية والاهواء السياسية والمحافظة على القوى الروحية والنفسية ومن ثم وضع عمل تاريخي بعد ذلك الذي يكتسب قيمة خالدة هو بمقدور من كان موهوبا ودليلا على ما اختاره الله.

---

* يحمل الابن اسم جده الامير شمس الدين والد شرف خان.وهكذا كما لوان الامير يعود ايضا الى موطنه في صورة الحفيد

صـوّر شـرف خـان سـيرته الحياتيـة بـصورة شـحيحة، لكنهـا مـزودة بمعلومـات كافية،وحدد فيها المعالم الرئيسية بعقلانية دون عواطف جياشة، ولم يسمح لنفسه سـوى انه كتب عن نفسه بيتان من الشعر ذات يوم.

انني مثل كرة في ميدان فسيح اصبحت اتقلب بصولجان القـدر مـن حـال الى حـال شهورا واعواما. (روزبياني ٦٨٥)

اشار ضياء شرف خان حفيد شرف خان بدليسي الى عام وفاة جده صاحب "شـرف نامه " الذي يصادف ١٦٠٣- ١٦٠٤م وذلك في رسالة الى نجل محمد علي عـوني (١٦ - ١٥: ١٩٨٨ Mardukh) ويقع قبر شرف خان بدليسي وضريحه في مدينة بدليس.

" كتاب شرف " او " كتاب مجد* " كوردستان

تناول شرف خان الاعمال التي كتبها المؤرخون الفرس، والعرب، والاتـراك، وفي كثير من الأحيان لا تجري الاشارة الى عنوان المصدر واسم المؤلف، لكن يمكن تثبيت اسماء المؤلفين وعناوين اعمالهم وهم: ابو عبدالله محمد بـن عمـر الواقـدي (٧٤٧ - ٨٤٣ م)، ابو العباس احمد البلاذري (توفي عام ٨٩٢) " كتـاب فتـوح البلـدان " وركن الدين ا لسمناني (القرن الثالث عشر) " الاقبالية "، وعفيف الدين عبدالله اليـافعي (١٢٩٨ \ ١٢٩٩ – ١٣٦٧م)،ومـرآة الجنـان "،و حمـد الله المـستوفي القزويني (ولد عام ١٢٨١) " تاريخ كزيدة " وعمله ايضا في الجغرافيـا " نزهـة القلوب "،وابو القاسم عبد الله الكاشاني (القرن الرابع عشر) " زبدة التواريخ "، شرف الدين علي يزدي (القرن الرابع عشر – القرن الخامس عشر) " ظفر نامـه " كمال الدين عبد الرزاق سمر قندي (١٤١٣- ١٤٨٣) " مطلـع الـسعدين في مجمـع البحـرين "، و ميرخوانـد (١٤٣٣ -١٤٩٨) "روضـة الـصفا "و نورالـدين عبـد الرحمن جامي(القرن الخـامس عـشر) "و نفحـات الانـس مـن حـضرات القـدس "، دولتشاه السمرقندي (القرن الخامس عشر) " تذكرة الشعراء " سعد الدين خواجة افندي (القرن السادس عشر) " تاج التواريخ ".

ولا يستنفذ عند هذا الحد قائمة المصادر التي استفاد منها شرف خـان بدليـسي في اثناء تأليف كتابه " شرف نامه ".

جرى استخدام الوثائق الرسمية والشهادات التي لم يورد نـصها كـاملا احيانـا في الكتـاب. كما ان مؤلف " شرف نامه " قد استخدم وعلى نطاق واسع الاعـراف والقـصص الـتي يكـون العالم الكوردي على جانب كبير مـن الثـراء بهـا ويبـدأ عـدد كـبير مـن القـصص والروايـات بالعبارات التالية : يقال " حسب القصة " " مثلما يؤكد الخبراء "، ونرى ان أهم المعلومـات واكثرها قيمة هي التي اخذت من قصص المعاصرين – شهود عيان ومـن ملاحظـات المؤلـف الشخصية وهنا يتوقع المؤلف مادة ذات قيمة كبيرة، ورواسب الذهب من عيار رفيع.

---

* للاسم معنيان. شرف بالفارسية اسـم علم، ويعني " المجد " و" الشهامة " و" الشرف ."

يتألف كتاب شرف خان بدليسي من مقدمة المؤلف واربعة ابواب : الباب الاول في تراجم ولاة كوردستان الذين رفعوا لواء السلطنة عاليا فأدخلهم المؤرخون في عداد السلاطين، والباب الثاني يتحدث عن حكماء كوردستان العظماء، الذين لم يستقلوا بالملك ولم يرغبوا في العروش، لكنهم قد اقروا في بعض الاحيان بتلاوة الخطب ايام الجمعة وسك النقود باسمهم.

والباب الثالث يتحدث عن حكام وامراء كوردستان الاخرين، والباب الرابع عن حكام بدليس، والخاتمة الموضوعة كعرض تاريخي للاحداث في تركيا وايران والبلدان المجاورة قد تحولت الى كتاب كامل شكل مجلدا ثانيا " لشرف نامه " في الاصدار الذي قام ف. ف. فيليامينوف — زيرنوف بنشره (١٨٦٠ — ١٨٦٢).

افرد الباب الاول لحكام ديار بكر والجزيرة (المروانيون ٩٨٥ — ١٠٨٥) وحكام الدينور وشهرزور (الحسنويهيون ٩٥٩ — ١٠١٥م)، وحكام لرستان الكبرى (الفضلوية ١١٥٥ — ١٤٢٣ م) واتابكة اللر الصغرى (١١٨٤ — ١٥٩٧م) والايوبيون (١١٧١ — ١٢٥٠ م). ان هذا الباب اقل الابواب اصالة ويقوم على معلومات استمدت من مصادر اكثر قدما.

وبصرف النظر عن طبيعة الكتاب الذي تم جمعه من اعمال عديدة فانه في غاية الاهمية لاعادة كتابة تاريخ الكورد من جديد.ليست التعديلات التي اجريت على الكتاب مهمة ومثيرة للاهتمام فحسب بل واستيعاب صاحب " شرف نامه" ذاته لتاريخ السلالات التي تم سردها.وعلى سبيل المثال يبدأ الباب بفصل مكرس للمروانيين، مع ان سلالة الحسنوية الحاكمة قد قامت في جنوب شرق كوردستان قبل ثلاثة قرون.الا ان الفصل الثاني للباب والتالي مكرس للحسنويهيين، ومع ذلك فكما لو ان المؤلف يأخرهما الى المقام الثاني، اما " اول سلطان كوردي " فيسمى احمد بن مروان (شرف نامه١٩٦٧ : ٨٩).

لا بد من الاشارة الى انه لم يجر ذكر السلالة الكوردية الحاكمة المعروفة والتي تحمل اسم الشداديين

(٩٥١ – ١٠٨٨م) في كتاب شرف خان بدليسي. ويبدو ان سبب ذلك لا يعود الى ان الشداديين لم يحكموا في بلاد الكورد كما ان الايوبيين لم يبلغوا مجدهم السياسي في كوردستان، بل في مصر وسوريا والسبب في تباين نطاقات السلطة للأسر المذكورة.ان عملية تقسيم سلالات امراء كوردستان في فصول البابين الثاني والثالث الى " عظماء " و " اخرين "، بل وحتى تعاقب وصف تاريخها قد اتسم حسب رأي كاتب هذه السطور بمغزى عميق.ونوه السوسيولوجيون الى الخضوع الشمولي لحياة الكورد الاجتماعية لفكرة التراتبية. وحسب ملاحظات فريدريك بارت (١١١ : barth١٩٥٣) كان نظام تعداد البيوت حتى على مستوى المجتمع القروي يستوعب من جانب المجموعة باهتمام شديد وحذر ولذلك كان يجري تعديله دونما ابطاء وبدقة.وفي القرن السادس عشر ، في عصر الاقطاعية والانقسام الى طبقات، كان التصوير الدوري لتاريخ الاسر الاميرية يحتاج الى قدر كبير من التوازن. ومن خلف هذه الدورية في القرن السادس عشر كان لكل امارة مكانتها – درجتها ومستواها التراتيبي في البنية الاجتماعية السياسية لكوردستان، وقد استطاع شرف خان بدليسي رسم صورة هذا السلم التراتيبي بدقة وبصورة مرئية فصلا تلو الفصل ودرجة تلو الدرجة.

لقد عهد المكان الاول لسلالة بني اردلان، بين السلالات الخمس للحكام العظام في كوردستان، التي شغلت مستوىً هراركيا رفيعا، وشملت سلطة سلالة بني اردلان في مراحل قوتها جنوب شرق كوردستان كله تقريبا، وفي اوائل القرن السادس عشر كان الوجود الفعلي لبيت بني اردلان في حياة المنطقة السياسية حوالي منتصف الالفية.

والفصل الثاني في باب حكام كوردستان العظام، وبالتالي الدرجة الثانية من الاعلى في نظام التراتبية الاجتماعية – السياسية قد خصصه شرف خان لامراء هكاري، الذين يعود اصلهم الى أحد أقدم الاسر في كوردستان واكثرها شهرة.

وتشغل سلالات حكام بهدينان، بوختي، (بوختان)وحصنكيف الدرجات الثلاث التالية. وفي القرن السادس عشر حافظت البيوت الاميرية الخمس وهي :اردلان، هكاري، بهدينان، بوهتان حصنكيف على وضعها المستقل عمليا، وكانت تبسط سيطرتها على اراضيها دون منازع تقريبا، وكانت اشبه بالحكام " بأعمالها وعاداتها " وعلى هذا المنوال قدمهم شرف خان مستخدما المفردات اللغوية في التعامل معهم، هذه المفردات اللغوية المتداولة في التعامل مع الحاكم.وكان بوسع كل سلالة من السلالات الخمس الإعلان عن استقلالها.

كان امراء سوران وحكام بابان الذين نسبهم المؤلف الى عداد الاسر الاميرية " الباقية " على جانب كبير من القوة و المنعة، وحسب ما رواه شرف خان بدليسي كان الصغار والكبار، القريبون والبعيدون يخشون أمير سوران، أما أمير بابان فقد قام في أوائل القرن السادس عشر بشن غارات على القزلباش و سواهم،وكان يتم بامر منه تعيين الامراء على المقاطعات بعد ان يهديهم اشارات السلطة، الطبل والراية، الامر الذي كان الحاكم وحده يقوم بذلك.وقد كانت اراضي حكام جمشكزك (ديرسم) شاسعة جدا، بحيث كانوا يطلقون اسم كوردستان على " بلادهم ".

عرض مؤلف شرف نامة في كتابه اكثر من عشرين سلالة كوردية حاكمة من ملاكي الاقطاعات الوراثية، التي كانت ايضا قوية جدا، وحظيت بوضع مستقل بين الحين والاخر وكاد كل بيت للحكام الذي كان لديه قوة عسكرية وسياسية أن يعلن استقلاله عمليا في منعطف ما من مصيره السياسي.لقد وصف. ف مينورسكي بلاد الكورد المصورة على صفحات "شرف نامه " بكوردستان العظمى المؤلفة من مجموعة كاملة من الامارات الكوردية.

نوجه عناية القراء الى نهاية فصول " شرف نامه " المكرسة لبيوت كوردستان وأُسرها , التي حافظت على اهميتها السياسية لغاية عام ـ١٠٠٥هـ \١٥٩٧ م، عندما تم كتابة " شرف نامه ".وحسب رأي كاتب هذه السطور فقد تجلى فيه الموقف

السياسي والفكري للكاتب،ففي كل نهاية من هذه النهايات يظهر شرف خان بدليسي كمؤرخ وكشاهد على حكم امير اردلان.

ويعود الحكم الى احد امراء بهدينان " بلا قيد وشرط ودون شريك " وأن أمير الجزيرة بعد أن أصبح حاكما مستقلا راح " يمارس الحكم بحماسة " ويحكم امير برتك بصورة مستقلة، وان امير سقر يحكم " دون عائق وبصورة مطلقة " وان امير حزو (صاصون) " يحكم بصورة مستقلة " واصبح امير موكس حاكما مستقلا ويدير " شؤون السلطة دون عائق "،و ان امير شيروان اصبح حاكما مستقلا، ونال امير الجزيرة استقلاله التام،وقد امسك امير عتاق بزمام السلطة " بلا شرط ودون عائق ". ويحكم امير سوران " الولاية الموروثة بصورة مستقلة "، وتعود السلطة الى امير صوماي دون ان ينازعه احد عليها، وتضم ممتلكات امارة درتنك الاراضي الممتدة بين الدينور وحتى بغداد ولا يوجد لها مثيلا " بعدد قطعانها ومراعيها " (شرف نامه ١٩٦٧ : ١٥٢، ١٧٥، ٢٠٢، ٢٩٩، ٢٣١، ٢٦٣، ٢٧٢، ٢٧٩، ٢٩٤، ٣٠٠، ٣٢٩، ٣٤٧، ٣٦٦).

كما اتصور فقد تضمنت نهايات فصول " شرف نامه " الشيء الاساسي الذي أراد شرف خان بدليسي اظهاره في كتابه والتأكيد عليه، فالعالم الكوردي الذي تم جره في القرن السادس عشر الى دوامة عسكرية قوية للمواجهة بين الامبراطوريات، ووجد نفسه في مركز هذا الصراع، قد حافظ على ما يتناسب وطبيعة الكوردي ألا وهي استقلاليته. ومع انه لم تتمكن جميع السلالات الكوردية الحاكمة من تخطي المسافة الزمنية لحكمها التي تصل الى قرن، فان دوافع الحنين الى الوطن تغيب في " شرف نامه ".ان كتاب شرف خان بدليسي مفعم بالشجاعة والرؤية المستقبلية وتنوّرها فكرة كوردستان. وقد كان ضمان الحكم المستقل والتام واللامشروط لتلك البيوت الكوردية التي ظلت مقاليد السلطة بأيديها عندما وضع الكتاب العظيم، وهذا ما كان الكاتب يثق به بلا ريب.

لم يكن شرف خان بدليسي فنانا وحسب قام بتصوير بانوراما الحياة الكوردية في كتابه وعلى نحو حرفي، كما صور الامارات والبيوت الحاكمة والعشائر القوية في كوردستان.فقد وهب له بأن يصغي بصوته الداخلي الى دقات نبض التاريخ الكوردي وهو على حافة الانعطاف ويصغي الى آنين الارض الكوردية وصرختها لانشاء دولة كوردية موحدة.

ان فكرة كوردستان المطروحة والمدونة في " شرف نامه " تتجلى في قصائد الشاعر احمد خاني

(١٦٥٠-١٦٥١م — ١٧٠٧م) هذه القصائد المفعة بالحماسة.ان فكرة قيام دولة كوردية موحدة التي ناوى بها مؤلف ملحمة " مم وزين " موجودة بصراحة وبكل صوتها في " شرف نامه " ايضا، وترتسم في كل مكان في النص تقريبا وتتخلل بصفة لحن رئيس بين السطور.

تعين على شرف خان بدليسي مراعاة الحيطة والحذر وعرض وقائع التاريخ الكوردي بصورة متوازنة ودقيقة بعيدا عن الاصوات الحماسية.لقد اخذ شرف خان بدليسي درسا من سيرة والده الحياتية ومن سيرة جده ايضا ولم يكن عديم الاكتراث لوضع بيوت الامراء في بدليس.

كان صاحب " شرف نامه " في عقيدته السياسية نصيرا للملكية القوية، وكعبرة كان المؤرخ الكوردي يردد ما قاله الشاعر الفارسي عبد الله هاتفي (مات عام ١٥٢١).

"لا بد من البكاء على تلك البلاد التي لا يعرف اهلها لهم منفذا فان العاهرة السكرى تستطيع ان تتقيأ في بطن الكعبة ولم تخف معاقبة السلطان."

قام شرف خان بدليسي بشجب الفوضى التي عمت ايران بعد وفاة الشاه طهماسب وإدانة فقدان السلطة.وكان يرى في قيام الحكام المحليين ضدالمركز تمردا، ولا بدّ من التنويه الى ان شرف خان بدليسي لم يستنكر قيام حركات مماثلة من جانب الامراء الكورد، فقد كان يفتخر بعدم خضوعهم.فالكورد حسب سجيتهم يميلون الى الاستقلال

حسب ما يقوله شرف خان بدليسي.الا ان ما يثير الآسى والأسف والشعور بالألم في نفس شرف خان بدليسي هو النزاعات الداخلية بين العشائر الكوردية وغياب الوحدة فيما بينها.

وبما ان شرف خان بدليسي كان تابعا للسلطان العثماني ويشعر بأنه كان دائما يبذل جهودا حثيثة لترسيخ سلطة المركز، فقد كانت الرغبة تحدوه بين الحين والاخر في التصريح باخلاصه. الا ان هذا الاخلاص المؤكد عليه مرارا من جانب ي. ب بيتروشيفسكي الذي قدر عاليا كتاب " شرف نامه " بوصفه مصدرا تاريخيا (بتروشيفسكي ١٩٤٩ : ٣٠ -٣٢) كان يفتقر الى الحماسة، ولم يكن ملحق " شرف نامه " المكرس لحكام ايران و تركيا، والذي تحول الى كتاب سوى ممالئة للجهات الرسمية، فقد كانت افكار شرف خان بدليسي وطموحاته منصبة على التاريخ الكوردي.

استحوذت فكرة كتابة تاريخ كوردستان على شرف خان بدليسي منذ البداية، و تحولت حياة شرف خان كلها الى محراب لخدمة فكرة كوردستان. فقد بعثت النور والضياء، واضفت حدة خاصة على بصيرة المؤرخ الداخلية.فقد كانت بصيرة شرف خان تميز مصادر التاريخ الكوردي المطمورة في ضباب القرون وتنبش عن شخصيات الابطال في العصور القديمة.اننا نجد على صفحات كتابه شخصيات من الادب الملحمي الكوردي ونلتقي بالاجداد الاوائل للعشائر الكوردية وشخصياتها البارزة.

ألقى شرف خان بدليسي بنظره على المصادر الاولى للتاريخ الكوردي، ولم يتساءل عن زمن ظهوراسم كوردستان، هذا السؤال الذي يستأثر بهذا القدر الكبير من الاهتمام في ايامنا هذه. و سبب ذلك في غاية البساطة،فلم يكن يتبادر مثل هذا السؤال على ذهن كاتب " شرف نامه ".فقد كانت كوردستان بالنسبة لشرف خان ابدية، وكفضاء عهد الى التاريخ كي يعيش فيها شعبها، فجميع الاحداث التي استعرضها التاريخ الكوردي قد جرت في كوردستان.

وكوردستان بالنسبة لشرف خان بدليسي ليست اسما وحسب. فقد تجسدت في هذه الكلمة الواحدة الفكرة – الحلم معا، وتماسك وتوحيد جميع اجزاء الاتنوس

الكوردي.لقد وهب شرف خان بدليسي الاحساس والشعور بما يكمن في الشعب الكوردي من قوى عظيمة لم تتجسد بصورة كافية، وبعد مضي اربعة قرون يصفها د. أ شميدت بالطاقة الانسانية العظيمة التي لم يجر صرفها في الشرقين الاوسط والادنى (schmidt ١٩ ،٤ : ١٦٧).

منذ ايام ولادة شرف خان بدليسي كان عمر تاريخ الشعب الكوردي الذي ينتمي اليه ويفتخر به يبلغ الاف السنين، فقد عاش الكورد منذ الازمنة السحيقة في ما بين النهرين، ففي هذه المنطقة نشأت الحضارة وخرج الكورد من أعماق البوتقة التي جرى فيها صهر المجموعات العرقية في الشرقين الاوسط والادنى.

والشعب الكورد ينتمي الى عدد قليل جدا من الاعراق وربما الى اتنوس (عرق) وحيد، قد نجا من الانقراض ولم يسمح لنفسه بالانصهار، في وقت انهارت فيه امبراطوريات وممالك قوية عظمى في القدم والعصور الوسطى في هذه المنطقة وفقدت كيانها ووجودها السياسي .

ظل التاريخ الكوردي المرير ،الذي اكتوى بنيران حروب لا حصر لها في الظل ولم يجر سرده قبل ظهور سفر شرف خان بدليسي.فقد كانت شحيحة معلومات المصادر التاريخية وما تم الحصول عليها فقد كان عن طريق الصدفة، فلم يكن يوجد تقليدا تاريخيا واحدا، فالمخطوطات قد اكلتها النيران في اتون الحروب التي نشبت في المنطقة.

وطالما لاذت المصادر بالصمت ، فقد قدر للتاريخ الكوردي ان يكون في طي النسيان، وأتاح كتاب شرف خان بدليسي المجال لسماع صوت عصره — القرن السادس عشر، الذي جرى فيه انعطاف في التاريخ الكوردي، ومن الان فصاعدا يحدد التمزق السياسي لبلاد الكورد مصير الشعب لاحقا.

الجزء الثالث

الكلمات الخالدة لشرف خان بدليسي

ان المؤلف الذي وضعه شرف خان بدليسي قبل ٤٠٠ سنة قد جعل اسمه خالدا، فالكتاب لا مثيل له، والموضوعات المطروقة فيه فريدة وكذلك نطاقاتها وشخصية الكاتب، إذ أنه تم جمع معلومات مجزأة معا وللمرة الاولى حول تاريخ الشعب الكوردي ، والمتناثرة في المصادر من القرن السابع وحتى القرن السادس عشر. فقد قام المؤلف بجمع المجموعات الثقافية - اللغوية والعشائر الكوردية المجزأة والناطقة احيانا بلهجات في غاية الاختلاف تحت سقف البيت الكوردي. فقد تم الاعلان وللمرة الاولى عن فكرة كوردستان بمثابة فضاء اتنو - ثقافي كوردي موحد وكبلاد للكورد. فكتاب شرف خان بدليسي مكتوب من الصفحة الاولى وحتى الاخيرة تحت شعار كوردستان وفي سبيل كوردستان.

يمثل مؤلف " شرف نامه " شريحة عليا من النخبة الكوردية ومن البيت الارستقراطي لحكام بدليس. لقد أعلن العالم الكوردي عن نفسه بكلمة معبرة عن طريق اكثر ممثلي جهاز السلطة ثقافة، الذي لم تكن الرغبة تحدوه في ارضاء الشاه او السلطان ولاالشهرة وعبارات المديح ونيل جزاء الثناء.

لقد استحوذت على شرف خان فكرة استمرت طيلة حياته و كانت بمثابة نجم دليل أضاء كل دربه الحياتي وهي " ان لايترك تراجم أسر كوردستان " العريقة العظام مجهولة ومحتجبة وراء ستار الكتمان (شرف نامه ١٩٦٧: ٧٦-٧٧روزبياني٢٨)، فقد كان شرف خان يرى أن هذه الأسر قد جسدت في اعمالها ومآثرها ما هو رئيسي جرى في بلاد الكورد في مجال السياسة، والحياة الاثنيه والوعي القومي فالكتاب كتبها ند عن الأنداد.

اثار عمل شرف خان فور صدوره الاهتمام والانتباه الشديد. فقد كان الطلب كبيرا على المخطوطات وكانت نادرة حتى في كوردستان، وبعد مضي ٦٠ عاما على كتابة" شرف نامه " تم ترجمته الى اللغة التركية مرتين وبعد مرور قرنين من الزمن اصبح ظهور " شرف نامه " في حقل رؤيه علم الاستشراق الاوربي مفاجأة علمية مثيرة حقاً.

كان جون مالكوم مؤلف " تاريخ بلاد فارس " أول اوروبي وقع بين يديه مخطوط " شرف نامه "، ففي مطلع القرن التاسع عشر قدم الامير الكوردي محيزي أثمن هدية للمؤرخ البريطاني، وبعد مضي ٢٠ عاما يكتب كلوديوس جيمس ريج احد مواطني جون مالكوم واصفا رحلته الى أردلان عام ١٨٢٠ ومعيدا الى الاذهان وعد الامير امان الله خان اردلان باهدائه مخطوط كتاب شرف خان بدليسي بقول " لقد كان المخطوط وحده يستحق القيام بالرحلةالى سنه(عاصمة اردلان).

وما ان ظهر مخطوط " شرف نامه " في حقل رؤية العلماء الاوربيين، حتى طرح فورا سؤال حول ضرورة اصدار الكتاب بأقصى سرعة واخذ غور اوسلي (charmoy 1890ه,) رئيس لجنة الترجمات في بريطانيا العظمى واير لندا على عاتقه مهمة اصدار " شرف نامه " دونما ابطاء وذلك بعد ان اطلع على السفر التاريخي الذي كتبه شرف خان بدليسي، الا ان مهمة اداء هذه الرسالة قد قدرت لروسيا القيام بها.

عقب المعاهدة التركمانية السلمية المبرمة بين روسيا وايران راحت المخطوطات الشرقية النادرة بما فيها مخطوط ثمين مثل " شرف نامه " تصل من مخازن أردلان الى سانت بطرسبورغ، وكان هذا المخطوط يحمل تاريخ شهر شوال ١٠٠٧ ايار عام ١٥٩٩ وكان زمن كتابة المؤلف عن المخطوط يفصل مدة سنتان فقط. وكانت نسخة طبق الاصل " كوبيا " معدلة ومدققة بيد المؤلف، الامر الذي يشهد عليه التعليق في نهاية الكتاب.

وقامت لجنة بتكليف من امبراطور روسيا بتدقيق وتصوير المخطوط من مكتبة اردبيل عام ١٨٢٩. وقد ضمت هذه اللجنة المعتبرة في عدادها الاكاديمي خ. د. فرين واستاذان للغة الفارسية وهما : " ميرزا جعفر توطبجي باشيف و ف. ب. شارموا ". وقد لاقى المخطوط تقديرا بالاجماع، وفي العام ذاته ١٨٢٩ دعى خ. د. فرين على صفحات " st. petersburgischen.

zeitung" المستشرقين الشباب الى الانكباب على دراسة عمل شرف خان بدليسي ، الذي قدره كمصدر تاريخي من الدرجة الاولى. ومن الواضح ان ف. ب. شارموا شرع في الاشتغال على نص " شرف نامه " دونما ابطاء وامسى عمل حياته كلها.

وفي عام ١٨١٧ قدم تلميذ سيلفيرست دي ساسي من فرنسا الى سانت بطرسبورغ، وفي عام ١٨٣٥ عاد ثانيه بعد ان نال لقب وظيفة الاستاذية في اللغة الفارسية وادابها وفي جامعة سانت بطرسبورغ الامبراطورية ولقب الاستاذية في اللغتين الفارسية والتركية في المعهد التربوي الاساسي والعضو المراسل في اكاديمية العلوم الروسية الامبراطورية.

غادر ف. ب. شارموا سانت بطرسبورغ ويم وجهه شطر فرنسا على ان يعود الى روسيا ثانية، الا أنه قضى السنوات التالية من حياته وهي ٣٣ عاما في فرنسا بعيدا عن روسيا التى كان يعدها وطنه الثاني وظل يحتفظ باكثر المشاعر دفئا عنها . وفي فرنسا واصل ف. ب شارموا العمل على " شرف نامه " وعلى " النصين الفارسي وفي الترجمة الفرنسية للمؤلف كله"، لكنه كما يكتب في رسالة له في اذار ١٨٦١ ، ان المرض العضال الذي اصابه ولمدة طويله قد جعله بعيدا عن القيام بأي نشاط ولفترة زمنية معينة "" ارشفcn6pq) pah. qp,2,
(on. 1.186: a, n6, c2, c18

وفي عام ١٨٤٣ ظهرت على صفحات " اصدارات سانت بطرسبورغ مقالا تأبينيا لصاحبه ب. س . سافيليوف " حول حياة ف. ب شارموا واعماله، وبعد عامين تم دحض هذا النبأ من جانب سافيليوف بناء على ما جاء في رسالة ارسلها ف. ب. شارموا الى الاكاديمي خ. د. فرين، وقد ابلغه فيها شارموا بانه قد قطع شوطا كبيرا في عمله على تاريخ الكورد، وفي عداد الموضوعات الخمسة التي اشتغل عليها فان الموضوع الذي يحمل الرقم ٢ يعني " تاريخ الكورد " او " شرف نامه".

وقد مر عقدا ونصف من الزمن ايضا على دحض سافيليوف ب. س. لنعيه ، و لم تصل بعد معلومات عن عمل ف. ب شارموا عن " شرف نامه " وفي هذه الاثناء لم تتوقف الدعوات لاصدار كتاب شرف خان بدليسي وادخاله الى التداول العلمي، بل تواصلت وبقوة اكبر. وهنا لا بدّ من التنويه بشكل خاص الى مقال إ. كونيك المنشور على صفحات (kunik1852: 537, 540) " m elanges asiatigues".

ويصف المؤلف فيه كتاب شرف خان بدليسي " شرف نامه " بانه يأتي في عداد المصادر الاكثر قيمة عن التاريخ القديم وتاريخ العصور الوسطى (!)، وحسب رأيه اصبح اصدار " شرف نامه " ضرورة ملحة وحسب ما توصل اليه إ. كونيك من استنتاج فإن امكانيات اصدار نص المخطوط كانت متوفرة في سانت بطرسبورغ تحديدا " ان بحوزتينا هنا افضل مخطوط عن تاريخ الكورد ".
(pan , qp. 95 , on. 1, n377, c.3 ارشيف cn 6qp.).

وفي عام ١٨٥٢ نوه الاكاديمي ب. أ دورن الى القيمة الكبيرة لعمل شرف خان بدليسي ، لقد وضع دورن فهرس المخطوطات الشرقية والمخطوطات المنقوشة على الخشب في المكتبة الامبراطورية العامة في سانت بطرسبورغ. وحسب ما توصل اليه ب.أ . دورن من استنتاج فان " قيمة هذا الكتاب لا تقدر بثمن ، طالما انه يقدم وبصورة اكثر اسهابا تاريخ شعب، الذي لم يترك لنا المؤلفون الاخرون تفاصيل صغيرة ، وبهذا الشكل فانه يسد فراغا كبيرا في حوليات آسيا . ان قيمة مخطوطنا يتضاعف عمليا وهذا ما يؤكد على اصالته وتاريخ ١٠٠٧هجري أي بعد مضي سنتين من وضع العمل " (dorn 1852 : 295 – 296).

كانت ضرورة اصدار العمل التاريخي لشرف خان بدليسي واضحة للعيان، ولم تذهب دعوات المستشرقين البارزين ادارج الرياح. ففي عام ١٨٦٠ – ١٨٦٢ قامت اكاديمية العلوم الامبراطورية في روسيا باصدار الطبعة الاولى

من كتاب " شرف نامه " وكان فلاديمر فلاديمر وفيتش فيليامينوف - زيرنوف (١٨٣٠ – ١٩٠٤) هو الذي قام بهذا العمل العلمي ، وكان انشغاله على نص الكتاب يثير الدهشة باندفاعه الشديد، وعند قبوله في ملاك الاكاديمية كان عمره يبلغ ٢٥ عاما وتم انتخابه استاذا مساعدا في الادب والتاريخ، وخلال ثلاث سنوات قام باعداد واصدار كتاب شرف خان بدليسي وذلك حسب المخطوطات الاربع المحفوظة في سانت بطرسبورغ* وقد كان مخطوط المكتبة الامبراطورية العامة ، الذي قام المؤلف (١٠٠٧) بتحقيقه وتدقيقه هو الذي كان الاساس الذي اعتمد عليه في اصدار الكتاب وتم سد الفراغ القائم في النص على حساب المخطوط، الذي يعود الى ف.ف خانوكوفا ، الذي وضع في فوند المخطوطات التابع للمكتبة الامبراطورية العامة

ان مخطوط ن. ن خانيكوف مذيل بتاريخ ٣٠ تشرين الثاني عام ١٨٣٦ ويعود الى ما دونه الناسخ بيده الى الكولوفون الذي يلي كولوفون ومخطوط المؤلف ذاته. وقد تم في المقدمة التي كتبها ف. ف. فيليامينوف - زيرنوف عرض النص وترجمة اثنين من الكولوفون . ويعود المخطوطان الاخران المستخدمين في الاصدار الى المتحف الاسيوي لاكاديمية العلوم الامبراطورية (حاليا الى فرع سانت بطرسبورغ لمعهد الاستشراق) .ويتضمان : احدهما نص كامل للعمل، والاخر مقتطفات (وكلا المخطوطين لا يحملان تاريخا).

لقد كان ف. ف. فيليامينوف – زيرنوف* يشتغل على نص شرف خان بدليسي بولع شديد يثير الدهشة ، فقد كان مستغرقا في العمل بالمعنى الحرفي

---

* تم انتخاب ف. ف فيليامينوف – زيرنوف وهو يبلغ من العمر ٣٠ عاما اكاديميا خارج الملاك على ما قام به من عمل ناجح في اصدار كتاب له قيمة عالية .

* ولد فلاديمر فلاديمروفيتش فيليامينوف-زيرنوف في ٣١ تشرين الاول عام ١٨٣٠ في مدينة سانت بطرسبورغ ، ومات في ١٧ كانون الثاني عام ١٩٠٤ في مدينة كييف (دفن في محافظة ارلوف

للكلمة . كتب في مقدمته يقول :"العمل مكتوب منذ ما يقارب من ٣٠٠ عام ، بينما لم يظهر في الشرق أي شيء اخر يمكن ان نقارن معه "

(veliaminf – zernof 1860 :9 -10) لم يحظ الكتاب بتقدير ارفع لدى احد اخر اكثر من ناشره الاول.

ظهر التعقيب على اصدار ف. ف. فيليامينوف – زيرنوف دونما ابطاء وفي نفس العام الذي صدر فيه المجلد الاول للكتاب . وكان كاتب التعقيب المستشرق الفرنسي المعروف شارل ديفرميري، الذي نفذ الاصدار وترجم مجموعة كاملة من اعمال المؤلفين الفرس والعرب بما فيهم استاذه ميرخوند خواند مير، سعدي.

لقد قدر كاتب التعقيب مساهمة فيليامينوف – زيرنوف واكاديمية العلوم الروسية في العمل على " شرف نامه " تقديرا عاليا .فقد كتب يقول : "حسب رأيي تم تحقيق نص فيليامينوف – زيرنوف بعناية كبيرة وبدقة ".

Deyremery 1860:456)، وكان اختيار النص الذي جاء الاعتماد عليه في الاصدار، بالنسبة لشارل ديفريميري مقنعا و لا يثير شكاً : " لقد كتب النسخة (كوبيا) بعد مضي سنتين على تدوين الكتاب ودققها المؤلف ذاته. ولا اجد ضرورة في توضيح مدى قيام هذا الجانب بزيادة قيمة المخطوط ".

تضمنت صفحة الغلاف في المجلد الاول من " شرف نامه " وعدا بنشر الترجمة والتعليقات بعد اصدار النص الفارسي :

Scheref–Nameh ou histoire des kurdes par scheref. prince de bidlis , publiee pour la premiere fois , traduite et

---

) ومنذ ٦ حزيران ١٨٥٨ كان استاذا مساعدا في قسم التاريخ والفيلولوجيا (اللغات الاسلامية).

ومنذ كانون الاول ١٨٦٠ وحتى ١٥ شباط ١٨٧٨ كان اكاديميا خارج الملاك ومنذ ١ كانون الاول عام ١٨٩٠ عضوا فخريا في اكاديمية العلوم .

annotee par v. veliaminof - zernof, membre da l,Academie Imperiale des sciences de St,petersbourg. tom 1. texte persam.- premiere partie

اضاف الناشرون الذين قاموا بالترجمة الروسية لكتاب ج. أ. ستروي " الادب الفارسي.عرض بيبلوغرافي وهم يسردون نص التسمية الى كلمات عن الترجمة والتعليقات اشارة sic! التي توضع في حالات غير مفهومة وفي ظل غياب المعنى. وفي هذه الحالة لم يحدث اي شيء غامض، ويذكر ف. ف. فيليامينوف – زيرنوف في مقدمته التي كتبها للمجلد الثاني "لشرف نامه" الظروف التي دفعته لتغيير خطته.عمل ف.ف.فيليا مينوف – زيرنوف في ترجمة السفر التاريخي لشرف خان بدليسي الى اللغة الفرنسية،وبعد مضي عام على اصدار المجلد الاول كان جزءاً هاما من العمل جاهزاً ١٨٦١.وفي اجتماع القسم التاريخي – الفيلولوجي التابع لاكاديمية العلوم الامبراطورية والمنعقد في سانت بطرسبورغ بتاريخ ١٨٦١\٥\٣ تم الاقرار بأن ترجمته للكتاب الى اللغة الفرنسية قيد الانجاز، وكما جاء في تقرير صادر عن بروتوكول الاجتماع فان الترجمة ناجزة.الا ان الترجمة التي قام بها ف ز ف. فيليامينوف – زيرنوف لنص " شرف نامه " والموعودة في مقدمة المجلد الاول لم يرَ النور.

وفي اذار عام ١٨٦١ جرى حدث غيرّ مجرى العمل في الكتاب تغيرا شديدا. فقد وصلت مذكرة من ف. ف. فيليامينوف – زيرنوف الى القسم التاريخي – الفيلولوجي التابعة لاكادمية العلوم الامربراطورية في سانت بطرسبورغ تحدث فيها عن رسالةف. ب. شارموا بتاريخ ١٦ \ ٢ ١٨٦١. كتب شارموا ان نشر نص " شرف نامه " كان مفاجئة تامة له، وانه استأنف عمله بعد عام ١٨٤٣ (عام نشر النعي، الذي دحض بعد عامين) في التاريخ الكوردي، وفي الختام عبرف.ب. شارموا عن امله بان شرف القيام بنشر ترجمة " شرف نامه " قد تم التنازل له.

لم يكن موضع طرح لدى ف. ف فيليامينوف – زيرنوف السؤال حول كيفية التعامل مع ترجمته الشبه الناجزة، فقد كان قراره شأن كل عمله في الكتاب لا رجعة فيه وحاسما. وكتب يقول في تقريره :" بعد مضي ثلاث سنوات من الانتساب الى الاكاديمية، كنت واثقا من ان شارموا قد تخلى عن نيته في العمل على " شرف نامه "، وقمت باصدار (نص الكتاب) والان عندما علمت بانه لدى شارموا الان ترجمة كاملة وناجزة " لشرف نامه "، ولم يتخل عن رغبته في نشر " تاريخ الكورد "، ولا يرغب في ان يضيع عمل سنوات كثيرة، فانني على استعداد وعن طيب خاطر التضحية بترجمتي. ولم يكن لدي النية في قطع الطريق على اعمال السيد شارموا، انني اقدره عاليا كمستشرق بارز وعالم، الذي قدم في حينه مساعدة كبيرة في عملية دراسة الشرق وروسيا. وان وافقت الاكاديمية على اقتراح السيد شارموا بنشر ترجمته بدلا عن ترجمتي فانني ارى ان مهمتي قد نفذت " (c176ارشيف rah , qp.2 , on , 1 -1861, n6) ومن الان فصاعدا فان جميع مساعي ف. ف. فيليامينوف – زيرنوف في هذه الحبكة موجهة نحو المساهمة في نشر ترجمة ف. ب. شارموا.

انعقد اجتماع قسم التاريخ - الفيلولوجي لاكاديمية العلوم الامبراطورية بتاريخ ١٥ \ ٣ \ ١٨٦١ في يوم تقديم تقرير فيليامينوف – زيرنوف وتقرر عرض اقتراح على ف. ب شارموا يوحي فيه بتقديم ترجمته الى سكرتاية الاكاديمية مع تحفظ على ان يحق لفيليامينوف – زيرنوف التخلي عن نيته في عدم نشر ترجمته التي اعدّها. وكما هو معروف لم يستخدم ف. ف. فيليامينوف – زيرنوف هذا الحق.

أُرسلت أكاديمية العلوم الامبراطورية رسالة مع الابلاغ المناسب الى ضاحية تولون، وبعد تبادل الرسائل والكتابات عن طريق السفارة الروسية في باريس ودائرة العلاقات الداخلية لوزارة الخارجية الروسية.وصل مخطوط ترجمة ف. ب شارموا الى سكرتارية اكاديمية العلوم الامبراطورية في سانت بطرسبورغ . وقد حدث ذلك في عام ١٨٦٤.

تم تشكيل لجنة مؤلفة من ب. د. دورن، و م. ي. بروسيه، و ف.ف فيليامينوف – زيرنوف للاطلاع على المخطوط. وكان قرار الاكاديميين الثلاثة بالطبع في غاية الرضى ، وجرى تسليم المخطوط الى مطبعة الاكاديمية ، وبعد اربع اعوام طلب ف. ب. شارموا في رسالة له الى السكرتير الدائم للاكاديمية ك. س. فيسلوفسكي تقديم النسخة الاولى من نسخ المؤلف البالغ عددها ٥٠ نسخة للجزء الاول من المجلد الاول للترجمة الفرنسية " لشرف نامه " ، الذي تضمن مقدمة اتنو- جغرافية والتعليقات المتعلقة بها. واعترف مؤتمر الاكاديمية بأن عمل ف. ب. شارموا جدير بهذا الشرف وألحق بالنسخة المهداة للكتاب شهادة تضم آراء الاكاديميين ب. أ. دورن، م. ي. بروسيه، و ف.ف. فيليامينوف- زيرنوف ويحتفظ فرع ارشيف اكاديمية العلوم الروسية بالاصل الفرنسي للشهادة وترجمته الروسية. (, Qp.2 on. 1-1861, N6, c50- 54) والنص الفرنسي مكتوب بيد فيليامنيوف – زيرنوف وذلك بحكم الخط المكتوب به.

احتوت الشهادة على ارفع تقدير لعمل استمر لسنوات قام به ف. ب. شارموا في تاريخ الكورد. كتب المعقبون : "عانى العالم القدير من معاناة صعبة جدا وقام بجمع الباقي من قواه وهو في وضع كارثي الان، كي يكرس ايامه الاخيرة لعمل يكون فيه منفعة لروسيا " وعلى هذا النحو تحديدا كان تقديرثلاثة من المستشرقين الروس البارزين لعمل ف.ب. شارموا .

ان ما اظهره كلا من فيليامينوف –زيرنوف اول ناشر " لشرف نامه "، وشارموا واضع اول ترجمة كاملة* الى اللغة الاوربية،من تفان بالذات وشهامة كان

---

* منذ عام ١٨٢٦ ولغاية ١٨٥٩ صدر في فيينا بصورة خاصة ست اجزاء مقتبسة بصورة كبيرة من نص " شرف نامه " ومترجمة الى اللغة الالمانية قام بترجمتها H . A . barbom انظر ستوري ب . ١٩٧٢ ، ١٠٩٩- ١١١٠.

يناسب الكتاب الذي كان يحمل اسم " شرف نامه " او " كتاب الشرف "، تاريخ البيوت النبيلة في كوردستان.

اصبحت عبارة التقدير للاكاديميين الثلاثة بشأن " الايام الاخيرة من الحياة " واقعة حقيقية بعد عدة اشهر. فقد مات ف. ب. شارموا عام ١٨٦٨ في سنة نشر الجزء الاول من المجلد الاول لترجمة " شرف نامه " وقد توقف طبع الجزء الثاني، وبقي حوالي ٧٥ صفحة مطبوعة من المجلد الثاني وكلف كزنغرس اكاديمية العلوم لجنة مؤلفة من الاكاديميين ب.أ. دورن، م.ي بروسيه، و ف.ف. فيليامينوف – زيرنوف بالبحث عن مخرج.وتقدمت اللجنة باقتراح (١٤ تشرين الاول عام ١٨٦٩) تطلب فيه من يوسف فيودوريفتش غوتفالد (١٨١٣ – ١٨٩٧) ان يأخذعلى عاتقه " طباعة الاجزاء الباقية من عمل شارموا وفي القريب العاجل "، وفي العام ذاته توجهت قيادة الاكاديمية بطلب مماثل الى ي. ف. غوتفالد الاستاذ ومن ثم امين المكتبة في جامعة قازان الامبراطورية، وجاء هذا الطلب اليه بوصفه عالما

"حظيت أعماله في ادب الشرق وتاريخه بشهرة فخرية في دائرة المستشرقين".وانضمت شخصية جديدة مفعمة بنكران الذات الى العمل في الاشتغال على مؤلف شرف خان بدليسي.فقدانكب ي.ف.غوتفالدخلال ست سنوات على قراءة وتصحيح الصفحات المطبعية مع اعدادها في مطبعة اكاديمية العلوم،وفي عام ١٨٧٥رأى النور الجزء الثاتي والاخير من المجلد الثاني للصيغة الفرنسية "لشرف نامه".ولا بد من الاشارة الى انه تم اضافة كلمات الحواشي المنسوبة الى ف.ف.فيليامينوف-زيرنوف الى العنوان الذي يسبق ترجمة المجلد الثاني من السفر التاريخي "traduction du second volume du teyte du cheref-nameh imprime a st>petersbowg sous les suspices de iacodemicien v veliaminof-zernof وتدل الحا شية على المساهمة الكبيرة التي ساهم بها فيليامينوف-زيرنوف في القيام بنشر عمل ف.ب.شارموا

لقد واكبت مثل هذه الظروف الصعبة ولادة الطبعة الاولى " شرف نامه " وصيغتها الفرنسية. ولكي يتم وهب الحياة لمثل هذه الكتب كان الامر يحتاج الى جهد عدد كبيرمن العلماء. ودخلت جهودهم المتفانية الى تاريخ الكتاب العظيم الذي كتبه شرف خان بدليسي، واصبحت جزءا لا يتجزء منه .

لقد تحقق خلال عقدين من الزمن أي منذ عام ١٨٥٣ وحتى عام ١٨٧٥ ما كان يدعو اليه وبحرارة الخبراء والناس الذين كانوا يقدرون الكتاب المخطوط . لقد ادخل كتاب شرف خان بدليسي في التداول العلمي منذ البداية باللغة الفارسية التي كتبت بها وعلى شكل صيغة فرنسية (كاملة) وبالصيغة الالمانية (غير كاملة). لقد قدر لعمل شرف خان بدليسي ان يولد اكثر من مرة، وكل مرة دوت كلمة المؤلف على نحو جديد، اكتسبت سطور " شرف نامه " المسكوكة دقة ظريفة للاسلوب الفرنسي بريشة ف.ب.شارموا.

ظل اصدار ف. ف. فيليامينوف – زيرنوف الطبعة الوحيدة خلال ٧٠ عاما الى ان ظهرت الطبعة الثانية في القاهرة عام ١٩٣٤ . وقد تم اصدار هذه الطبعة بلا عيوب من وجهة النظر الفنية عمليا ، وعكست بصورة مماثلة نص اربع مخطوطات لنسخة " شرف نامه " . وما كان ف. ف. فيليامينوف – زيرنوف قد وضعه من مخطوط في اساس الاصدار ، قد جرى تعديله و النظر فيه بيد مؤلف " شرف نامه "، ويقدم برهانا على ان نص الطبعة لا غبار عليه ، لان شرف خان بدليسي بالذات قد ثبته رغم ما ظهرت من تداعيات لا نقاش عليها لدى المحقيقين اللاحقين. ولا توجد صلاحيات في ادخال التعديلات على النص (مع التحفظات اللازمة) لدى احد سوى المؤلف. وما قيل لا يعني مطلقا ان نص المؤلف لايمكن ان لا يتضمن اخطاء ووهفوات.

ومع ذلك فإن نص المؤلف (عندما جرى التاكيد على وجود ارادة المؤلف وبصره، مثلما ما حدث مع مخطوط في مكتبة مستودع اردبيل) يمثل حصانه بما فيها تلك الاماكن التي تثير الشكوك. ان مكان جميع الشكوك والتداعيات وحتى التي تبدو لا نقاش عليها وهو خارج اطر النص وفي الحواشي.

وعلى هذا النحو تحديدا يتم ادراك موقف ف. ف. فيليامينوف – زيرنوف من الاصدار. ان الموقف الطيب والعناية بنص المؤلف لم يتح له حتى باجراء روايات مختلفة، لكل صفحة من صفحات المخطوطات ، فقد قدمت لوحدها وفي المجلد الثاني من الطبعة بعد خاتمة المؤلف ولم يكن يوجد استثناء سوى لملء الفراغ.

كتب فيليامينوف – زيرنوف في مقدمته للمجلد الاول يقول:"اترجم عن نص كما هو موجود كي اكون دقيقا حسب ما يكون هذا ممكنا، اني افضل المحافظة على طبعات مختلفة في كتابة اسماء العلم... وقد اثرت التوقف على هذه الطبعات المختلفة في الحواشي.(Veliaminof – Zernof 1860 : 21)

لقد تم تنفيذ اصدار ف. ف. فيليامينوف – زيرنوف باحترام عميق ازاء نص المؤلف. وعلى هذا النحو كان اسلوب العمل للناشر الاول" شرف نامه " الذي كان يتصف بالدقة والايجاز والعناية بالمصدر . وحسب راي كاتب هذه السطور فإن هذا الجانب يظهر القيمة الابدية والازلية لطبعة فيليامينوف – زيرنوف بصرف النظر عن الاصدارات القيمة لكتاب شرف خان بدليسي التي ظهرت او انها ستظهر في المستقبل.

قام محمد علي عوني باصدار الطبعة الثاني للمجلد الاول من " شرف نامه " وذلك عام ١٩٣١ في القاهرة . والنص الفارسي مرفق بمقدمة الناشر ، ومقدمة الترجمة العربية كتبها ف. ف. فيليامينوف – زيرنوف وفي اثناء اعداد طبعة القاهرة تم استخدام نص طبعة فيليامينوف – زيرنوف (1860: cn6) ومخطوطات المدرسة العثمانية بحلب ومخطوط الامير ثريا بك بدرخان* وان التبيانات في نص الطبعتين الاولى والثانية ليس كبيرا. فقد ضم محمد علي عوني، الفصل الذي يحمل عنوان " حول امراء كلباكي " الى نص الطبعة ،

* لم يتسن لمؤلف هذه السطور الاطلاع على هذه الطبعة والمعلومات التي اوردها هي من مقدمة الطبعة الثالثة " لشرف نامه "

الذي لا يعود الى شرف خان ولم يدل عليه في تبويب الكتاب** ويوجد عنوان الفصل في مخطوط ن. ف. خانيكوف وقد نقله ف. ف. فيليامينوف – زيرنوف الى نهاية المجلد الثاني لطبعة عام ١٨٦٢،و في عداد روايات مختلفة حسب المخطوطات التي استخدمها*

في عام ١٩٦٥ صدرت الطبعة الثالثة " لشرف نامه " في طهران قام باعدادها العالم الفارسي محمد محمد لوي عباسي ففي طبعةعام ١٩٦٥ جرى اعادة استنساخ نص " شرف نامه " الصادر في القاهرة عام ١٩٣١ مع حواشي الصفحات باللغة العربية كتبها محمد علي عوني، وقد تم هذا الاستنساخ بطريقة اوفست. ويضم نص طبعة عام ١٩٦٥ مدخلا واسعا للناشر محمد محمد لوي عباسي، الذي يشير فيه الى القيمة العلمية الكبيرة للمدونه التاريخية لشرف خان بدليسي . وحسب ما توصل محمد محمد لوي عباسي من رأي فانه لا يوجد مثيلا " لشرف نامه " في تاريخ الكورد وكوردستان ولا يوجد أي شيء اخر يعادله قيمة. وحسب رايه فان اكثرالمصادر صحة لاجل توضيح اسماء عشائر اللور الكورد والبختيار. وتضم الطبعة فهرسا بأسماء الاعلام، السلالات والعشائر والاماكن الجغرافية وعناوين الكتب والمؤلفات، وقد وضع هذا الفهرس بصورة دقيقة .

نص الطبعة يضم نص الطبعات الثلاث (على الارجح طبعتان طالما ان نص الطبعة الثالثة يماثل نص الثانية).اخطاء وفراغات وذلك حسب رأي الباحث الكوردي عبدالله مردوخي (Mardukh 1988:10) وان الكتاب يستحق اصدار طبعة جديدة ونقدية. لقد قام البروفيسور الامريكي مهرداد ر.

** ينتهي فصل امراء كلباكي ١٠٩٢ \ ١٦٨١ ويختلف بلغته التي كانت بعيدة عن الكمال ، عن اللغة الجميلة الظريفة والخالية من العيوب في ما يتعلق بأسس قواعد اسلوب شرف خان بدليسي .

VELIAMINOF – ZERNOF 1862 : 36- 45 *

ايزادي ، مؤلف اصدارات كثيرة عن الكورد باصدار هذه الطبعة مع الترجمة الانكليزية والتعليقات وسرد تمهيدا واسعا, : وقد قام دار نشر "Mazda publlshers , "في عام ١٩٩٨ بالابلاغ عن الكتاب "The Sharaf nama (History of the Kurdish Nation). By Sharafal-Din Bitlisi. Trans. From the Persion with Annotations by Mehrdad R. Izady",ولم يتمكن كاتب هذه السطور من الحصول على الاجزاء الصادرة رغم ما بذله من جهود في هذا المضمار.ومما لاشك فيه ان اصدار الكتاب يبشر بأن يصبح حدثا كبيرا لجميع من له علاقة بالكوردولوجيا. ان عدد المخطوطات المعروفة " لشرف نامه " كبيرا جدا (ستوري١٧(1099,1098,19721), ان اكثر الاصدار قيمة والوارد في كتاب ج. أ. ستروي هي مخطوطات – كشف مكتبة بودل في اكسفورد المكتوبة بخط المؤلف والمعترف من الجميع (يحمل تاريخ ١٣ اب عام ١٥٩٧) وكشف عام ١٥٩٩ من سانت بطرسبورغ الذي وضع في اساس طبعة ف. ف. فيليامينوف – زيرنوف.

ترجم كتاب شرف خان بدليسي الى لغات اخرى ولعدة مرات. فقد ذكر انفا ترجمة الكتاب الى اللغة الالمانية قام بها غ. أ. بارنا، والترجمة الفرنسية (ف. ب. شارموا، وترجمتان تركيتان، قد وضعهما على الارجح بعد كتابة السفرالتاريخي وفي عام١٩٥٣ نشر المجلد الاول من " شرف نامه " في بغداد مترجما الى اللغة العربية ترجمها محمد جميل روزبياني،وفي عام ١٩٧١ صدر الكتاب في استطنبول مترجما الى اللغة التركية ترجمها محمد امين بوز ارسلان، وفي عام ١٩٥٨ اصدر محمد علي عوني الترجمة العربية في القاهرة وشملت الترجمة كلا الجزأين من " شرف نامه ".

وينبغي التوقف بشكل خاص على ترجمات " شرف نامه " الصادرة باللغة الكوردية، وقد اسفرت هذه الترجمات بأن ينشرالعمل التاريخي العظيم للمؤلف الكوردي بلغة شعبه. وحاليا ثمة ترجمتان لهذا العمل التاريخي الذي كتبه شرف خان بدليسي الى اللغة الكوردية والترجمة الاولى (باللهجة الكورمانجية) وتعود الى الكوردي ملا محمود

بيازيدي (ولد عام ١٧٩٧ في بدليس)، وقد تمت الترجمة بطلب من القنصل الروسي الكسندر د. زابا، وان المخطوط الوحيد المكتوب بيد المؤلف موجود في سانت بطرسبورغ، في المكتبة الحكومية العامة، ضمن مجموعة المخطوطات الكوردية جمعها الكسندر زابا.

ويحمل المخطوط تاريخ ١٢٧٥ \ ١٨٥٨ – ١٨٥٥ وفي عام ١٩٨٦ اصدر دار نشر موسكو " العام " كتاب " ملا محمود بيازيدي تواريخ قديمي كوردستان " والمجلد الاول كان ترجمة " شرف نامه " لشرف خان بدليسي من اللغة الفارسية الى اللغة الكوردية (كورمانجي) وقد قام البروفيسور ق. ق. كوردييف و ج. س. موسليان باصدار النص والمدخل والفهارس والعنوان واعدادهما، وقد اصدر الاثنان عددا كبيرا من الاعمال مكرسة للكورد. وقام الشاعر الكوردي عبدالرحمن هزار شرف الدين بترجمة " شرف نامه " الى اللهجة الجنوبية للغة الكوردية (سوراني) وكانت اكاديمية العلوم الكوردية هي التي اصدرت الكتاب في بغداد عام ١٩٧١.

وفي عام ١٩٦٧ و ١٩٧٦ صدر المجلد الاول والثاني " لشرف نامه " باللغة الروسية ترجمها كاتب هذه السطور. ففي نهاية الخمسينات جرت الاشارة الى ضرورة ترجمة هذا الاثر الى اللغة الروسية.وكان الاكاديمي ي. أ. اوربيلي والبروفيسور ق. ق. كوردييف (كوردو) قد بادرا الى ذلك و اللذين ترأسا المدرسة اللينيغرادية في الكوردولوجيا (حاليا مدرسة سانت –بطرسبورغ)، وقد عهد ترجمة الكتاب (حسب طبعة ف.ف. فيليامينوف – زيرينوف) الى كاتب هذه السطور. واصبح المعاون العلمي في متحف ارميتاج الحكومي ل. ت. غيوزاليان محررا، الذي قدم لي مساعدة لاتقدر بثمن في اشتغالي على نص السفر التاريخي.

يمتلك كتاب شرف خان بدليسي قيمة خارج الزمن ، وقد تسنى لكاتب هذه السطور المشاركة في مؤتمر حول تاريخ الكورد والمكرس " لشرف نامه "، و ٤٠٠ سنة منذ كتابته.

Sharafnama Conference on kurdish History , Berlin , 1-3 May 1998.

لقد اكد المشاركون في المؤتمر في كلماتهم على الفكرة العميقة لكلمة شرف خان بدليسي وجاذبيتها اليوم ومدى اهميتها وتاثيرها، وهذا ما اظهره الباحث من امريكا مهرداد ر. ايزادي في نشراته الخمس وعلى نحو رائع ودامغ ، وقد جاءت اول كلمة له تحت عنوان " سنوات الحياة مع الامير شرف ". لقد وصف مهرداد ر. ايزادي عمله الذي استمر سنوات عديدة في نص " شرف نامه " بسنوات الحياة ، ومن الصعوبة بمكان قول ذلك بصورة اكثر جلاء وتأثرا ، وكم كانت هذه السنوات مفعمة في التعامل مع كتاب شرف خان، حيث انها قد اتسمت في الرؤية الفنية للكاتب كمرحلة حياة امضاها الباحث في مجتمع مؤلف " شرف نامه ".

تظل كلمة شرف خان حية، وكلما سار المجتمع الكوردي ابعد في طريق الوحدة القومية، اصبحت سطور " شرف نامه " بالنسبة له اكثر اهمية ووزنا، ومهما كانت البلدان التي قذف المصير بأجيال من الكورد اليها فان الاجيال الحالية تقول، ربما، اكثر بكثير من معاصري شرف خان . وقد توجه مؤلف " شرف نامه " الى هذه الاجيال البعيدة عنه.

سيقرأ كتاب شرف خان بدليسي دائما. وستاتي اجيال جديدة من الكورد وعلماء الاستكراد وستقرأ هذه الاجيال " شرف نامه " وتفهمها على نحو جديد، ولا شك في ان شرائح كاملة من المادة النصية سيتم النظر اليها وفهمها وتأويلها بصورة جديدة. لقد اعدت لكلمة شرف خان الخلود أو حياة ابدية

الصور

عند اختبار الصور توجهنا الى المنمنمات في مخطوط " شرف نامه " الذي يحتفظ به في مكتبة بودل اكسفورد تحت الرقم ٣١٢، وان هذه المنمنمات قد استخدموها جزئيا اما بشكلها الكامل او اجزاء منها. ويصف أ. سخاو خ. انيتي اللذان وضعا فهرس مخطوط مكتبة بودل ا بانه وضع بيد المؤلف ذاته وحسب رأيهم فان ٢٠ منمنمة على صفحات المخطوط تعود الي المؤلف.

((Sachau End Ethe 1889 : 167 -169

ويتضح من كولوفون المخطوط بانه قد كتب وصحح" بيد المؤلف الفقير والكاتب الحقير بحاجة الى مساعدة الله ملك السموات، شرف خان شمس الدين الاكاسري*... في اليوم الاخير من شهر ذي الحجة سنة ١٠٠٠ من هجرة الرسول ".

ومع ذلك فان الخبير في المخطوطات الايرانية وواضع فهرس المخطوطات الفارسية والطاجيكية في معهد الاستشراق ن.د.ميكلوخا-ميكلاي قد عبر عن ثقته بان جدول بودل"لشرف نامه" لا يمكن ان يكون بخط المؤلف،ويستحيل ان يكون الكاتب هو الذي وضع المنمنمات التي يتضمنها المخطوط.وحسب رأي الباحث فقد شارك خطاطان وفنان في اعداد هذا الجدول (ميكلوخا- ميكلاي).

كما ذكر آنفا فقد تلقى شرف خان تعليمه في بلاط الشاه وكان يتلقى دروسه مع انجال البيت الحاكم، وكان فن المنمنمات والخط يدخل في عداد المواد التعليمية اللازمة،وكان الشاه طهماسب،الذي حكم في ذلك الوقت خطاطا رائعا.لقد كانت الحرفية في مجال الخط والمنمنمتشائعا جدا وكانت تدل على ظرافة الذوق وتهذيبه. ومما لاشك فيه انه كان بوسع مؤلف "شرف نامه" اعادة كتابة عمله بخط يده وتزيين النص بنمنمات وضعها هو شخصيا.ويرى المؤلف الكوردي عبدالرقيب يوسف اول ناشر وباحث في منمنمات

---

* حرفيا " حفيد الساسانيين . تعرض اسم المؤلف في كولوفون الى بعض التعديلات لان الحبر المستخدم في كتابة الحروف كان مدهنا بعض الشيء ".

مخطوط "شرف نامه" في بودل انها تعود للمؤلف الا انه،وعلى اية حال،حتى وان تم البرهان مستقبلا على ان شرف خان بدليسي لم يقم بعمل الخطاط او الفنان،فان هذا الجانب عند اعداد الكتاب ليس على جانب كبير من الاهمية. بينما المهم هو شيء اخر.

وتتيح الرسومات في مخطوط مكتبة بودل بجامعة اكسفوردالقاء نظرة الى العالم الذي صوره شرف خان بدليسي، ومشاهدته ورؤيته على نحو كما كان يرى انسان القرن السادس عشر.و تصل نسمة العصر واشكاله المرئية وقد تم استخدام عشرة منمنمات الورارد بصورة كاملة او على شكل مقتطفات في الكتاب وذلك من اصل ٢٠ منمنمة في جدول بودل. اننا سنتوقف عند كل واحدة من المنمنمات الواردة ادناه في الحواشي والشروحات.

لقد قام الباحث الكوردي عبد الرقيب يوسف في عام ١٩٩١ باصدار جمع منمنمات مخطوط بودل البالغ عددها عشرون منمنمة في السويد وبالالوان مع المدخل والتعليقات والحواشي :

Abdulreqib yûsuf hunere Tabloyêr Cerefrana mê. wergêr Elisîr- jn weşanên jîna nû : 24. beşê hûnerî.1. çapa yekem : tebax 1991

وحسب رأي عبد الرقيب يوسف فان المنمنمات يمكن ان يكون اثمن مصدر اثنو- تاريخي، تتضمن مادة اتنوغرافية ثرية. وقد تم نقل منمنمات مخطوط بودل " لشرف نامه " الى الكتاب بموافقة ادارة المكتبة وبصفتها الاسود –البيض على شكل مقتطفات او كلها.

١- الصورة ١ منمنمة مكرسة لحصنكيف

((badleign. l. 556

٢- الصورة ٢ منمنمة تصور المعركة العثمانية–الصفوية في ضواحي جالديران (١٥١٤) التي تعتبر نقطة بداية في التاريخ الكوردي – بداية تقسيم بلاد الكورد (ص ٢٠٧٦ – ٢٠٨)

٣- الصورة ٣ مقتطفات من المنمنمة.

٤- الصورة ٤ مقتطف من منمنمة فهرس لحسن كيف (   )

٥- الصورة ٥ على الورقة ١٤٤ المخطوط يعرض النصف الاول من المنمنمة ، التي تصور استقبال الامير شرف خان بدلسي للشاه طهماسب في اخلاط. وقع الحدث في عام ١٥٣٢ تم تصوير الشاه طهماسب وهو جالس على العرش بالقرب من خيمة مفتوحة (الورقة ١٤٥) انظر الورقة ١٣ الامير شرف يجلس على مقعد عال مصنوع من الخشب (الورقة ١٤٤) وان الوان وجهه مدهونة بعض الشي، لكن كما لو ان هيئته ينبعث منها النور، الذي يملأ كل الفضاء في مركز الجزءالايمن من المنمنمة، ويقف الامير شمس الدين (ابن الامير شرف ووالد مؤلف " شرف نامه ") الى اليسار من الامير وبعيدا بعض الشيء، و امه, زوجة الامير شرف والتي كانت ترتدي،بدلة رجالية كما اكد عبد الرقيب يوسف. وصور من الاعلى لحرس يقوم بمراقبة مايجري، وفي الجزء السفلي من المنمنمة يجري تقديم الهدايا للشاه الصفوي وفي الاسفل تماما يجري مناقشة ما يجري. والامير شمس الدين يحمل رمحا، الذي يضم بيده اليمنى عليه وتعبر كل هيئته عن الوقار والهيبة.

الصورة ٦ مقطع من المنمنمة مكرس لجزء (ورقة ٨٩).

الصور ٧ تصور المنمنمة حصار قلعة بدليس فرضتها عليها وحدات آق قوينلو (في ستينات القرن الخامس عشر)

-الصورة ٨ مقاطع من المنمنمة (ورقة ٩٥ -١٣٢)

الصورة ٩ مقطع من المنمنمة

الصورة ٢٠ مقطع من المنمنمة

الصورة ١١ مقطع من المنمنمة

الصورة ١٢ تصوير الشاه طهماسب

الصورة ١٣ مقطع من المنمنمة

الصورة ١٣ مقطع من المنمنمة مع تصوير حسن كيف

الصورة ١٥ مقطع من المنمنمة مع تصوير خيزان (ورقة ٧٦٦)

الصورة ١٦ المنمنمة تصور مشهد الصيد في جبال هكاري

الصورة ١٧ تـصور المنمنمـة اسـتقبالا حـافلا لامـير بوهتـان حـاكم جزيـرة بوتـان (الورقة ٢٣)

المصادر والمرجع

١.ارشيف —pан فرع ارشيف pан، فوند ٢، д رقم ٦

٢.بولشا كوف ١٩٣٣- بولشاكوف و.غ. تاريخ الخلافة. عصر الفتوحات الكبرى، موسكو.

٣. جامع التواريخ ١٩٤٦-رشيدالدين.مجموعة تواريخ-المجلد٣ ت.من الفارسية ا.ك.أريندس، موسكو- لينينغراد

٤.قازي احمد ١٩٤٧-قازي احمد،بحث عن الخطاطين والفنانين ١٥٩٦-١٥٩٧|١٠٠٥ مدخل وترجمة وتعليق البروفيسور ب.ن.زاهودر، موسكو- لينينغراد.

٥.ميكلوخا-ميكلاي ن.د.بعض التدقيقات في نص شرف نامه- المجموعة الفلسطينية، الاصدار٢١، الشرق الاوسط وايران.لينينغراد.

٦.مينورسكي١٩١٥- مينورسكي. الكورد.ملاحظات وانطباعات. بتروغراد.

٧.نيكيتين ١٩٦٤-نيكيتين ف.الكورد.ترجمة عن الفرنسية،موسكو.

٩. زهة القلوب ١٩١٥- the geographical part of the nuzhat al-qulub composed by hamad-allah mustawf of qazwin in 740 (1340) ed by leyden..g le strange"gibb memorial"series vol xx111

١٠.بتروشيفسكي ١٩٤٩-بتروشيفسكي ي.ب. دراسات في تاريخ العلاقات الاقطاعية في اذربيجان وارمينيا في القرن الخامس عشر وحتى اوائل القرن العشرين.

١١.سفيروفا ١٩٩٨- سيفيروفا م.ب. القطع النقدية للحكام الكورد في بدليس في نهاية القرن الرابع عشر وحتى القرن السادس عشر.مجموعة نوميزمات.

١٢.ستوري ١٩٧٢-ستوري.ا.الادب الفارسي عرض بيبلوغرافي ترجمها عن الانكليزية يو.ا.بريغل.الجزء١١. موسكو.

١٣.شرف نامه ش ١٩٦٧-شرف خان ابن شمس الدين بدليسي.شرف نامه.ت.من الفارسية ترجمها وكتب مقدمتها وعلق عليها ي.ي.فاسيليفا،المجلد ١، موسكو.

14-Abdulregib Yusuf 1999-Abdulreqib Yusuf Honere tabloen serefname werger:
Eliser.-JN Wesanen Jina nu: 24.Bese huneri: 1. Gapa Yekem: Tebax.15 Barth 1953-Principles of Social Organization in Southern Kurdistan by Fredric Barth.- Universitetes Ethnografiske Museum Bulletin, No. 7. Oslo. Bois- Bois Th. Kurds, Kurdistan.- El2, vol. V, p. 439-447. Btuinessen 1992- Btuinessen van M. M. Agha, Shaikh and State. The Social and political Structures of Kurdistan. L.-New Jersey.

16- Charmoy 1868-1875-Cheref-Nameh ou Fastes de la Nation Kourde par Cheref-ou,ddine... Traduits... et commentes par F. B. Charmoy. 1-11 St.-Petersbourg (t. 1. pt. 1, 1868:t. 1. pt. 2, 1870: t. 11. pt. 1, 1873: t. 11. pt. 2, 1875).

17- Defremery 1860 – (peu.) Journal Asiatique, aux langues et la literature des peoples orientau.

18- Dorn 1852-Dorn B. Catalogue des manuscrits et xylographes orientau de la Bibliotheque lmperiale de St.-Petersbourg.

19- Driver 1921 – The Dispersion of the Kurds in Ansient Times. By G. Driver, Magdalen College, Oxford, - JRAS, L.

20- Kunik 1852 – Kunik. Analyse d,un ouvrage manuscript... - Melanges Asiatiques tires du Bulletin historico-

philologique de l,Academie Imperiale des sciences de St.-Petersbourg.

21- Le Strange 1905 – The lands of the Eastern Caliphate. Mesoptamia, Persia and Central Asia from the Moslem conquest to the time of Timur. Cambridge.

22- Minorsky, Kurds – Minorsky V. Kurdistan. 111. History.- El2, vol. V, p. 447-464.

23- Nikitine 1956 – Nikitine B. Les Kurds. Etude socioloique et historique. Paris.

24- Sachhau and Ethe 1889 – Catalogue of the Persian, Turkish, Hindusati and Pushtu manuscipas in the Bodleian library begun by Ed.Sachan,...cont.compl..and ed.by H.Ethe.I,Oxford.

25.- Shakey 1992-Shakey F.Kurdish Nationalism in Mam u Zin of Ahmad-iKhani.Bruxelles.

26-Schmidt 1964-Schmidt D.a.JOURNEY Among Brave Men.Boston –Toronto.



دەزگای توێژینەوە و بڵاوکردنەوەی موکریانی

MUKIRYANI ESTABLISHMENT FOR RESEARCH & PUBLICATION

www.mukiryani.com

2011

چاپخانەی ڕۆژھەڵات/ھەولێر